جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

البعد عن الاستهجان وأثره في اختيار المفردة في القرآن الكريم والسنة النبوية
(ألفاظ العلاقة الحميمة نموذجاً)

الدكتورة

فاطمة أحمد السيد شتيوي

المدرس في قسم أصول اللغة بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م
الترقيم الدولي : ISSN 2356 ـ 9050

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ورسولنا أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فاللغة مرآة الشعوب ، وعنوان المجتمع وثقافته ، فكلما تقدم المجتمع وحافظ على القيم والمبادئ ، ارتقت لغته وازدهرت ، واتسمت بالسمو والارتقاء والتهذيب ، وعلى العكس من ذلك تماما كلما تأخر المجتمع ، وضاعت منه القيم والتقاليد النبيلة ، انحطت اللغة وابتذلت ، وأصابها ما أصاب المجتمع ؛ لأن اللغة كأي كائن اجتماعي تتأثر تأثراً كبيراً بالحضارات ، والقيم ، والتعليم ، والدين ، والثقافة ، إلى غير ذلك من أمور الحياة الاجتماعية،بل إن الاتجاهات النفسية تؤثر في التعبيرات اللغوية .

ومن القضايا التي اعتنى بها القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأولوها اهتماماً كبيراً ، قضية الحشمة (١) في التعبير ، والأدب في انتقاء الألفاظ ، والسمو في اختيار المفردات ، والرقي في الألفاظ ، والبعد عن الألفاظ المستهجنة ، بالإضافة إلى الجانب الدلالي الذي جاء على أحسن ما يكون ، ومن ثم نجد القرآن والسنة النبوية جمعا بين الحسنيين : السمو باللفظ ، ودقة التعبير عن المعنى ، هذا في جميع الموضوعات عامة ، والموضوعات المتعلقة بالعلاقة الحميمية خاصة ، فاستخدم القرآن والسنة ألفاظا غاية في السمو ، والرقي ، والأدب ، والحشمة ، والوقار في تعبيرهما عن هذه العلاقة ، مع بيان المعنى الدلالي المطلوب ، ولذلك لجئا إلى ، المجاز ، والكناية ، والاستعارة في التعبير عن تلك العلاقة ،

---

١ – " الحِشْمَةُ والحُشْمَةُ: أَن يَجْلِسَ إِلَيْكَ الرَّجُلُ فتؤذِيَهُ وتُسْمِعَهُ مَا يَكْرَهُ "
ينظر : لسان العرب ١٢ / ١٣٥ (ح ش م)

للمحافظة على الشعور ، والحياء ، والذوق كما أكثر القرآن الكريم والسنة النبوية من استخدام ألفاظا متعددة للتعبير عن تلك العلاقة الحميمية ؛ تجنبا لاستخدام ألفاظا يستقبح ويستهجن ذكرها ، وتأباها النفوس ، بسبب دلالتها الصريحة على تلك العلاقة ، ومن عادة القرآن الكريم والسنة النبوية ، اختيار الألفاظ الفاضلة التي يرغب فيها السامع ، ولا يخجل منها المتكلم ، فيترك كلّ ثقيل في النطق ، وعلى الأسماع ، والمزاج ، والطّباع ، إلى كل لفظ خفيف على النّفوس ، لا تنفر منه الأسماع ، ولا تخجل منه الطّباع .

وقد تأثرت العربية عامة ، والشعر ، والنثر خاصة ، بهذا الأدب الإسلامي الرفيع ، والسمو الأخلاقي ، فأكثرت من استخدام المجاز ، والكناية ، والاستعارة ، في تعبيراتها عن هذه العلاقة الحميمية ، بعد أن كان الشعر الجاهلي يشتمل على ألفاظ صريحة ، وقوية ، بل مكشوفة أحيانا ، في وصف هذه العلاقة ، فأصبح اللغويون والشعراء يلتمسون الحشمة والأدب في التعبير، وخاصة فيما يتصل بالألفاظ الجنسية ، لكن مع مرور الزمن ، تبدل الحال ، وتغيرت الأوضاع ، وابتذلت اللغة ، وفشت الألفاظ المستهجنة ، وانتشرت الألفاظ المستقبحة ، انتشاراً يجب الوقوف أمامه ومحاربته ، ومن ثم فقد عزمت الأمر، وتوكلت على الله لدراسة هذا الموضوع ، وأسميته : البعد عن الاستهجان وأثره في اختيار المفردة في القرآن الكريم والسنة النبوية (ألفاظ العلاقة الحميمة نموذجاً)

أهمية البحث :

إن قضية تجسيد المعنى وبيان دلالته من خلال الانتقاء اللفظي للمفردة بحيث يدل اللفظ على المعنى دلالة واضحة ، بجانب سمو اللفظ ، وبعده عن الاستهجان ، لها أهمية كبرى باعتبارها إحدى مقومات الإعجاز من ناحية اللفظ والدلالة .

و" تتميز المفردة القرآنية التي ترتبط بالعلاقة بين الرجل والمرأة بالطابع التهذيبي ، والوظيفة الخلقية ، إذ يختار القرآن الكريم ألفاظاً تحاط بالسمو والرقي مع دقة التعبير عن المعنى ، وهي تومئ بظلالها التي تكتنفها إلى المعنى من غير التصريح به ، كالجماع

ونحوه ، مما يعبر عن عملية الاتصال بين الرجل والمرأة ، حيث يعتمد في مثل ذلك على التلميح والتلويح إلى المعبر عنه في مقام يترفع فيه عن ذكر ما تأبى النفوس التصريح به ؛ مما يؤدي إلى الترفع بها ، تنزيهاً لها وتشريفاً ، وإبعادها عن الابتذال والسقوط ، وبذلك يتجلى ما تبعثه تلك الإيماءات التهذيبية في النفس من رغبة وارتياح بما يتطلبه السياق من دلالات تنشأ عن هذه الإشارات أو التلميحات ، ولا شك أن النخوة العربية تتطلب مثل هذه الآداب ، والإسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق " (٢)

وهذا البحث محاولة لبيان أهمية الجانب الاجتماعي في اللغة ، وبيان دور القيم والحشمة والأدب في البعد عن الألفاظ المستهجنة ، خاصة فيما يتعلق بالأمور التي يُستَحى منها ، وفي مقدمتها العلاقة الحميمية ، وأثر ذلك في الجانب الدلالي

أسباب اختيار الموضوع :

ومما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع : ما رأيته من ابتذال لألفاظ اللغة ، واستخدام ألفاظ تخدش الحياء ، وخاصة في مجال الإعلام ، والكتابات الأدبية ، حتى ظهر ما يسمى بالأدب المكشوف ، ويحتج هؤلاء بأن الإبداع ليس له حدود ، ولا قيود الخ ٠٠٠

ولم يعد يقتصر الأمر على الإعلام والكتابات الأدبية ، بل امتد ليشمل جميع وسائل التواصل الاجتماعي ، حتى أصبح الواقع الذي نعيشه مليئا بمثل هذه الألفاظ التي يعف اللسان عن ذكرها بينه وبين نفسه ، وأصبحت تقال في الملأ والعلن ، حتى في المحاورات ، والنقاشات ، السياسية ، والاجتماعية ، والحياتية ، التي لا تستدعي أي ألفاظ مستهجنة ، دون مراعاة لا للذوق ، ولا للأدب ، ولا لمكارم الأخلاق ، فأصبح الواقع ملوثاً بألفاظ يعف اللسان عن ذكرها ، وكثرت وانتشرت حتى عمت كثير من الناس ٠

---

٢ – البلاغة والإعجاز في القرآن الكريم د عزة محمد جدوع / ٧٥ ، ٧٦ ، ط مكتبة الرشد – السعودية ، ط١ ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣ م

فما أحوجنا هذه الأيام إلى قول المسيح عيسى –عليه السلام –عندما لقي خنزيراً بالطريق فقال له: أنفذ بسلام" يعني امض واذهب بسلام مني، بحيث لا أتعرض لك بسوء "فقيل له: تقول هذا لخنزير؟! فقال عيسى: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء" نعم على الإنسان أن يعود لسانه جميل الألفاظ .[٣]

وهذا المنهج الرائع في استخدام وانتقاء الألفاظ هو ما سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم فقد سمع الإمام الشافعي المزني يوما يقول : فُلَانٌ كَذَّابٌ، فَقَالَ له : يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ، اكْسُ أَلْفَاظَكَ أَحْسَنَهَا، لَا تَقُلْ: فُلَانٌ كَذَّابٌ، وَلَكِنْ قُلْ: حَدِيثُهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ. (٤)

يعني لا تنطق بهذا الكلام الشنيع القبيح ، بإمكانك أن تؤدي الغرض بأسلوب أفضل من هذا

" والإمام أحمد لما قيل له عن يزيد بن معاوية وذمه ذماً شديداً ، قيل: ألا تلعنه؟ قال: وهل عهدت أباك لعاناً، يتحاشون مثل هذه العبارات ، والبخاري –رحمه الله– الراوي شديد الضعف يقول : سكتوا عنه ، وفيه نظر، ما يرسلون ألسنتهم في الأشخاص، وفي أعراض الناس، لا بد أن يتأدب طالب العلم بمثل هذا الأدب " (٥)

وقد جاء هذا البحث في :

---

٣ – الموطأ للإمام مالك ٢/ ٩٨٥ ، وينظر : شرح الموطأ للزرقاني ٤/ ٦٣٨

٤ – ينظر : مقالات مجلة الحكمة ص٤

٥ – شرح المنظومة الحائية لابن أبي داود مؤلف الأصل: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ٣/ ١٨

الفصل الأول

البعد عن الاستهجان والسمو اللغوي

المبحث الأول :

تعريف الاستهجان ومصدره

أولاً : تعريف الاستهجان

ثانياً: مصدرالاستهجان(الاستهجان والقبح ليس في اللفظ بل في دلالته الصريحة على الأمر)

المبحث الثاني : سمو اللغة العربية

أولاُ : اللغة العربية من أفضل اللغات

ثانياً : البعد عن الاستهجان من أسباب سمو اللغة ورقيها

المبحث الثالث : مفردات اللغة والاحتياج إلى التصريح

أولاً : مفردات اللغة ليست قاصرة

ثانياً : الاحتياج إلى التصريح

المبحث الرابع : أسباب البعد عن الاستهجان وأثره

أولاً : أسباب ودوافع البعد عن الألفاظ المستهجنة

ثانياً : البعد عن الاستهجان أمر شرعي

ثالثاً : أثر الألفاظ التي يحسن ذكرها ، والألفاظ التي يقبح ذكرها

المبحث الأول : أولاً : تعريف الاستهجان :

الاستهجان في المعاجم العربية :

جاءت كلمة الاستهجان في اللغة بمعنى : القبح ، والإنكار ، يقال : استهجنَ يستهجن ، استهجاناً،فهو مُستهجِن ، والمفعول مُستهجَن واسْتَهْجَنَهُ : استقبحه ، والاستهجان: اسم مصدره استهجنَ ، والتَّهْجِينُ: التَّقْبيحُ ، واستهجن. استقبح ، واستنكر، والاستهجان يكون للأفعال ، والتصرفات ، والأقوال : اِسْتِهْجانُ أَمْرٍ : اِسْتِقْباحُهُ ، وأنا أَسْتَهْجِنُ فِعْلَكَ .(٦) ، وَهَذَا ممَّا يُسْتَهْجَنُ ذِكْرُه ؛ وَفِيه هُجْنَةٌ ، بالضَّمِّ. (٧)

واستهجن الأمرَ: استقبحه ، وعادات مُستهجَنة أي هذا ممّا يُستهجَن قولاً وفعلاً ، ويُسْتَهْجَنُ شُرْبُ الخمر ، واستهجن العمل : لم يرض عنه

وهجَّن الأمرَ: قبَّحه وعابه ، وهجَّن المعلِّمُ سُلوكَ بعض التّلاميذ (٨)

كما ورد الاستهجان في اللغة بمعنى : الشيء المعاب ، جاء في لسان العرب : " الهُجْنة مِنَ الْكَلَامِ: مَا يَعِيبُك." (٩)

وفي المعجم الوسيط :"هجن الشَّيْء جعله هجينا وَالْأَمر قبحه وعابه٠٠٠ و(استهجنه) استقبحه يُقَال : هَذَا مِمَّا يستهجن قَوْله أَو فعله أَو التفكير فِيهِ " (١٠)

وكَلاَمٌ مُسْتَهْجَنٌ : مَعِيبٌ ، وعِبَارَةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ : مُسْتَقْبَحَةٌ ومُستَهجِن: (اسم) فاعل مِن اِسْتَهْجَنَ ، يقال : رَجُلٌ مُسْتَهْجِنٌ : مُسْتَقْبِحٌ ، أَي مُعَبِّرٌ عَن اسْتِنْكَارٍ ، فهو : شعور بعدم

---

٦ – ينظر : أساس البلاغة ٢/ ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، القاموس المحيط ١٢٣٩/١ (ه ج ن)

٧ – ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، ٣٦/ ٢٧٨ (ه ج ن)

٨ – ينظر: تكملة المعاجم العربية ، رينهارت بيتر آن دُوزِي ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي ، جمال الخياط ٨/ ٣٠٣

٩ – ١٣/ ٤٣١(ه ج ن)

١٠ – ينظر : ٩٧٤/٢ (ه ج ن)

الموافقة أو الاستنكار الذي تُبديه جماعة ما معبّرة عن عدم موافقتها أو رفضها للأفعال الخلقيّة المقبولة (١١)

من خلال ما سبق يتضح أن الاستهجان في اللغة يدور حول معنى واحد عام هو : القبح وعدم الرضا ، والاستغراب ، والانكار ، وعدم القبول ، وأن هذا الفعل ، أو القول ، أو التصرف غير سديد وغير طبيعي ، وغير متوافق مع العرف والعادات ، أي فيه شيء من الغرابة ، وغير متوافق مع الفطرة والآداب العامة ٠

ثانياً : مصدر الاستهجان (الاستهجان والقبح ليس في اللفظ بل في دلالته الصريحة على الأمر)

والاستهجان ليس ناشئا من ذات اللفظ ؛ لأن اللفظ مكون من نفس ذات الأحرف العربية ، وإنما استهجانه وقبحه ناشئ من دلالته الصريحة على الأمر الذي يستحى من ذكره

وفي ذلك يقول الماوردي –رحمه الله–: " وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلَامِ آدَابًا إنْ أَغْفَلَهَا الْمُتَكَلِّمُ أَذْهَبَ رَوْنَقَ كَلَامِهِ، وَطَمَسَ بَهْجَةَ بَيَانِهِ، وَلَهَا النَّاسَ عَنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ بِمُسَاوِئِ أَدَبِهِ، فَعَدَلُوا عَنْ مَنَاقِبِهِ بِذِكْرِ مَثَالِبِهِ ٠٠٠وَمِنْ آدَابِهِ: أَنْ يَتَجَافَى هَجَرَ الْقَوْلِ وَمُسْتَقْبَحَ الْكَلَامِ، وَلْيَعْدِلْ إلَى الْكِنَايَةِ عَمَّا يُسْتَقْبَحُ صَرِيحُهُ وَيُسْتَهْجَنُ فَصِيحُهُ؛ لِيَبْلُغَ الْغَرَضَ وَلِسَانُهُ نَزِهٌ وَأَدَبُهُ مَصُونٌ.٠٠٠كانُوا إذَا ذَكَرُوا الْفُرُوجَ كَنَّوْا عَنْهَا. وَكَمَا أَنَّهُ يَصُونُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ فَهَكَذَا يَصُونُ عَنْهُ سَمْعَهُ، فَلَا يَسْمَعُ خَنَاءً وَلَا يُصْغِي إلَى فُحْشٍ فَإِنَّ سَمَاعَ الْفُحْشِ دَاعٍ إلَى إظْهَارِهِ، وَذَرِيعَةٌ إلَى إنْكَارِهِ. وَإِذَا وَجَدَ عَنْ الْفُحْشِ مَعْرِضًا كَفَّ قَائِلُهُ وَكَانَ إعْرَاضُهُ أَحَدَ النَّكِيرَيْنِ، كَمَا أَنَّ سَمَاعَهُ أَحَدُ الْبَاعِثَيْنِ. وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَارِثِ الْهَاشِمِيُّ :

تَحَرَّ مِنْ الطُّرُقِ أَوْسَاطَهَا ... وَعُدْ عَنْ الْمَوْضِعِ الْمُشْتَبِهْ

وَسَمْعَك صُنْ عَنْ قَبِيحِ الْكَلَا ... مِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنْ النُّطْقِ بِهِ

---

١١ – ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، د٠أحمد مختار عمر٣/ ٢٣٢٨(ه ج ن)

فَإِنَّك عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ

وَمِمَّا يَجْرِي مَجْرَى فُحْشِ الْقَوْلِ وَهَجْرِهِ فِي وُجُوبِ اجْتِنَابِهِ، وَلُزُومِ تَنَكُّبِهِ، مَا كَانَ شَنِيعَ الْبَدِيهَةِ مُسْتَنْكَرَ الظَّاهِرِ، وَإِنْ كَانَ عَقِبَ التَّأَمُّلِ سَلِيمًا، وَبَعْدَ الْكَشْفِ وَالرَّوِيَّةِ مُسْتَقِيمًا"(١٢)

وقد جاء في كتاب مثالب الوزيرين لأبي حيان التوحيدي: " ماذا أرادت – العرب – بتكثير أسماء الفرج مع قبحها ؟ فأجاب: لما رأوا الشيء قبيحا " جعلوا يكنون عنه ، وكانت الكناية عند فشوها تصير إلى حد الاسم الأول ، فينتقلون إلى كناية أخرى، فإذا اتسعت أيضا " رأوا فيها من القبح مثل ما كنوا عنه من أجله ، وعلى هذا فكثرت الكنايات ، وليس غرضهم تكثيرها " . (١٣)

فلا يكفي أن تكون المعلومة صحيحةً، وأن يكون قائلها صادقاً صريحاً ، بل لابد – مع ذلك – أن تكون عبارته لطيفةً ، خفيفةَ الوقع على القلوب ؛ فليس من شرط الصراحةِ الصفاقةُ ، ولا من شرط اللطافةِ النفاقُ؛ فقد يكون المرء صريحاً لطيفاً في حدود اللباقة واللياقة بعيداً عن الإسفاف ، والنفاق، والصفاقة

ولذلك كان من عادة العرب أنّها تكنّي عن الشيء بغيره إذا كان يقبح ذكره.(١٤)

فكنّى الله تعالى عن الجماع بـــألفاظ مختلفة ، لأنّ أمّة العرب أمّة حييّة ، تحبّ هذا الأسلوب وتعظّمه ، فخاطبها الله بأكثر ممّا كانت عليه ، فازداد العجب عند العرب ، فالألفاظ لها أثر على الأسماع والأذواق ، والله كريم يكنّي ، وصاحب الذوق السليم يدرك الفروق الدقيقة بين الكلمتين المتشابهتين ، لأنّ الذوق له سرّ عظيم في فهم اختيار الألفاظ ،

---

١٢ – ينظر : أدب الدنيا والدين ص٢٨٣ ، ٢٨٤

١٣ – ١/ ٣٨٧

١٤ – ينظر : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣١٠ ، ٣١١

ومعرفة جمال الأسلوب ، ومعرفة مواطن الإعجاز والفصاحة ، واعتياض كلمة بدل أخرى تشبهها.

جاء في الإتقان : " اعلم أنّ معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق والجليّ والأجلى والعليّ والأعلى، من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه ، وهو بمنزلة جاريتين : إحداهما بيضاء مشربة حمرة ، دقيقة الشفتين ، نقية الشعر، كحلاء العينين ، أسيلة الخدّ ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة، والأخرى دونها في الصّفات والمحاسن لكنّها أحلى في العيون والقلوب منها ، وأليق وأملح ، ولا يدرى لأي سبب كان ذلك ، لكنّه بالذوق والمشاهدة يعرف. (١٥)

والمراد من هذا الكلام بيان قيمة اختيار لفظة يستحسن ذكرها ، عن لفظة يستقبح ذكرها ، تشبهها في المدلول ، بل إن الكلمة المستحسن ذكرها تفوق الأخرى في جانب دلالي آخر ، وتكون أليق بالمقام من اللفظة الصريحة التي يستقبح ذكرها

فمن أوجه الإعجاز الدلالي ، أنك ترى اللفظة التي يستحسن ذكرها اشتملت – بجانب دلالتها على المعنى الأصلي للفظ الصريح الذي يستقبح ذكره – أوجه دلالية أخرى ، غاية في الروعة والجمال ، ويتطلبها المقام والسياق ، ولا توجد في اللفظ الصريح ، بمعنى أن اللفظ الذي يستحسن ذكره هو الأليق ، والأولى ، والأحسن من جميع الجوانب الدلالية ، واللغوية ، والبلاغية ، بل والفقهية ، إلى غير ذلك من أوجه الإعجاز

" وهكذا نرى أثر النزعات النفسية في دلالة الألفاظ ، فتحل ألفاظ محل أخرى لتكتسب دلالات جديدة ، وتنتقل إلى مجال غير مجالها الأصلي " (١٦)

---

١٥ – ينظر : ٤/ ٢١٤

١٦ – ينظر : من قضايا فقه اللسان ، د٠ الموافي الرفاعي البيلي ، ص ٢٧

وبهذا يتأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وضع كل كلمة في مكانها الصحيح ، لغويا ، ودلاليا ، وبلاغيا٠٠٠ إلخ ، بحيث لو أبدلت كلمة مكان كلمة لم تؤد نفس المعنى ، والله على كل شيء قدير٠

فقد عمل القرآن على تهيب اللغة العربية ، وتنقيحها والنهوض بها إلى أرقى مستوى للغات والآداب (١٧)

وإذا كان هذا هو منهج القرآن ، فقد اتخذا الرسول ﷺ الذي جاء بهذه الرّسالة الخاتمة الخالدة هذا المنهج العظيم في انتقاء الألفاظ ، وخاطب النّاس حتى المختلفين معه بالتي هي أحسن ، وابتعد عن كل ما يستقبح ذكره ، أو يستهجن ، أو يخدش الحياء ، لأنه ﷺ كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، فكان من المعقول والمناسب لحيائه وخلقه أن يستعمل في كلامه الألفاظ الحسنة بدلا من الألفاظ المستهجنة ، عفة للسانه كما عفت سائر جوارحه ﷺ ، ولذلك صارت النّفوس بعد ذلك من القرآن ، والسنة لا تشبع والآذان إليهما أسمع

---

١٧ – ينظر : فقه اللغة ، د٠ علي عبد الواحد وافي ، ص ١١٨

المبحث الثاني
سمو اللغة العربية

أولاُ : اللغة العربية من أفضل اللغات :

اللغة العربية – كانت ولا زالت (١٨)– في مقدمة اللغات الراقية ، وأعلاها ، وأفضلها وقد نص الجرجاني على ذلك فقال :" فإن لهذه اللغة من الفضيلة ما أشرت إليه ، ومن المزية ما نبهت عليه ، ولو لم يكن لها ذلك ، لكان في اختصاصها من سائر اللغات ، وتفردها عمن سواها من العبارات بما تحويه من رشاقة ألفاظها ، وسلاستها وعذوبتها ٠٠٠ والاكتفاء بالإشارة عن العبارة ، وعن الصريح بالكناية ٠٠٠ إلى غير ذلك من معان هي عليها مقصورة ومما عداها من اللغات مفقودة " (١٩)

وقد عقد ابن فارس في كتابه الصاحبي بابا لذلك جاء فيه : " باب القول فِي أن لغة العرب أفضلُ اللغات وأوسعُها : قال جلّ ثناؤه: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء : ١٩٢ : ١٩٥] فوصَفه جلّ ثناؤه بأبلغ مَا يوصَف بِهِ الكلام، وهو البيان. " (٢٠)

---

١٨ – وإنما قلت كانت بسبب ما أصاب اللغة في وقتنا الحاضر من ضعف ، وابتذال ؛ لأن اللغة تختلفُ من أمّةٍ إلى أمةٍ ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن جيلِ إلى جيلٍ ، لكن مع ذلك قلت : وما زالت ؛ لأن اللغة نفسها تملك من المقومات ما تجعلها أعلى اللغات حتى وإن انحدر مستوى كثير من المتحدثين بها

١٩ – ينظر : المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ص ٢

٢٠ – ينظر : الصاحبي في فقه اللغة العربية ص ١٩ ، دستور العلماء = جامع العلوم فـــي اصطلاحات الفنون للتهانوي ٣/ ٢٧٣

وهو ما أكده ابن خلدون فقال : " وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات ، وأوضحها إبانة عن المقاصد " ٠ (٢١)

بل عدها البعض من غير أهلها أفضل اللغات وأسماها على الإطلاق ، فقد ذكر ابن جني : " أنا نسأل علماء العربية ، مما أصله عجمي وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما ، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه ، وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه ، سألت غير مرة أبا علي –رضي الله عنه– عن ذلك فكان جوابه عنه نحوًا مما حكيته ٠٠٠٠ ولم نر أحداً من أشياخنا فيها – كأبي حاتم (٢٢) وبُنْدَار (٢٣) وأبي عليٍّ، وفلان وفلان – يُسوُّون بينهما ، ولا يُقرّبون بين حاليهما"(٢٤)

ثانياً : البعد عن الاستهجان من أسباب سمو اللغة ورقيها:

من أهم أسباب رقي اللغة العربية وسموها ، انتقاء أهلها لألفاظهم ، وابتعادهم عن الألفاظ المستهجنة ، وتجنبهم للغة المبتذلة ، التي لا تراعي الأدب ، أو القيم ، وهو ما نص عليه المبرد بقوله : " ويكون من الكناية – وذاك أحسنها – الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره " (٢٥) على عكس اللغة اللاتينية التي تعتمد على اللفظ الصريح ، حتى في التعبير عن العلاقات الخاصة ٠

---

٢١ – ينظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لابن خلدون الإشبيلي ١/ ٧٥٣

٢٢ – هو سهل بن محمد السجستاني البصري، أستاذ المبرد. مات سنة ٢٥٥هـ ينظر : الفهرست لابن النديم ١/ ٨٢

٢٣ – هو ابن عبد الحميد الكرخي. ينظر: فهرست ابن النديم ص ١٢٣

٢٤ – ينظر : الخصائص لابن جني ١/ ٢٤٤

٢٥ – ينظر : الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٢١٥

ومن أعظم الكتب التي تبين قيمة اللغة بتجنبها للألفاظ المستهجنة ولجوئها إلى الكناية اللطيفة كحل لذلك :

كتاب " (المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء) للقاضي أبو العباس أحمـــــــد بن محمد الجرجاني (ت٤٨٢هـ) الذي ذكر فيه طائفة من الكنايات التي استخدمها العرب للتعبير عن العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة ، وبين فائدة ذلك بقوله : (وها أنا أبتدئ الكتاب المذكور بذكر شيء من فوائده ٠٠٠فمن فوائده التحرزُ عن ذكرِ الفواحشِ السخيفة بالكنايات اللطيفة ، وإبدال ما يَفْحُشُ ذِكْرُه في الأسماع ، بما لا تنبو عنه الطباعُ ، .. ومنها تركُ اللفظِ المتطير به إلى ما هو أجملُ منه ... ومنها الأمورُ الجاريةُ بين البلغاءِ والأدباءِ ومداعباتهم بمعاريضَ لا يفطن لها إلا البلغاءُ ... ومنها التوسعُ في اللغاتِ ، والتفنِنُ في الألفاظِ والعبارات.) (٢٦)

بالإضافة إلى كتاب الكناية والتعريض للثعالبي الذي قال عنه هذا " الكتاب خفيف الحجم. ثقيل الوزن. صغير الجرم. كبير الغنم. في الكنايات عما يستهجن ذكره. ويستقبح نشره. أو يستحيا من تسميته. أو يتطير منه. أو يترفع ويصان عنه. بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى. وتفصح عن المغزى. وتحسن القبيح. وتلطف الكثيف. وتكسوه المعرض الأنيق. في مخاطبة الملوك ومكاتبة المحتشمين. ومذاكرة أهل الفضل. ومحاورة ذوي المروءة والظرف. فيحصل المراد. ويلوح النجاح. مع العدول عما ينبو عنه السمع. ولا يأنس به الطبع. الى ما يقوم مقامه. وينوب منابه. من كلام تأذن له الأذن. ولا يحجبه القلب."(٢٧)

---

٢٦ – ينظر : المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء ص ٣، ٤

٢٧ – ينظر : كتاب الكناية والتعريض للثعالبي ضمن رسائل الثعـــالبي ، أبـــو منصـــور الثعالبي ص ٥٧

ولذلك كان من أهم العوامل التي انتابت لغة المتحدثين باللغة العربية ، وحطت من ألفاظهم استخدامهم العلني للألفاظ المستهجنة التي تجرح الشعور ، وتكشف المستور خاصة فيما يتعلق بالعلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة ٠

فاللغة ليست أداة صناعية خارجة عن علاقاتها بالمجتمع الذي تعيش فيه ، بل هي صورة له نابضة بالحياة ، فإذا كان المجتمع متخلفاً ظهرت آثار التخلف في لغته ، فهي متخلفة معه ، وإذا كان مجتمعاً راقياً بدا الرقي في لغته ٠٠٠فاللغة سجل يعي حضارة الأمة على مدى تاريخها الطويل ، ويمكن – على هذا الأساس – فهم طبيعة حياتها ، ومعرفة الكثير عن وجودها الحضاري ٠(٢٨)

---

٢٨ – ينظر : علم اللغة بين القديم والحديث ، د٠ عبد الغفار حامد هلال ص ١٨١

المبحث الثالث

مفردات اللغة والاحتياج إلى التصريح

أولاً : مفردات اللغة ليست قاصرة :

اللغة العربية فيها من المفردات الكثير والكثير مما يرفع الحرج على الإنسان عند اختيار ألفاظه ، فالبدائل كثيرة ومتنوعة ، وتعطي نفس المعنى ، ومع ذلك كله نجد بعض الناس – بل الكثير في الوقت الحاضر – لا يتورعون عن سوق الألفاظ التي تخدش الحياء ، وتنأى عن الاحتشام والأدب ، مع ما هيّأ الله لهذه اللغة العظيمة من غزارة الألفاظ ، ودقة التراكيب ، وسمو الأساليب ، ومرونة في الألفاظ تساعده على أن يوضِّح مقصوده بألطف العبارات ، وجميل الكنايات مع استيفاء القصد ، ووضوح المطلب ، وبعدٍ عن ذكر العورات والأمور المستهجنة.

فاللغة العربية أكثر اللغات من حيث المفردات يقول الدكتور / صبحي الصالح : " حين نصف العربية بسعة التعبير وكثرة المفردات ، وتنوع الدلالات ، وحين نتجرأ أكثر من هذا ، فنزعم أن لغتنا أوسع اللغات ثروة ، وأغناها في أصول الكلمات الدوال على معان متشعبة ، قديمة وحديثة –جدير بنا أن نذكر أن اللغات جميعًا، دون استثناء، تزداد ثروتها وتبلغ مفرداتها من الكثرة حدًّا لا نهاية له إذا كتب لها من شروط النماء والحياة والخلود ما كتب للعربية، فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها، وتنوع لهجاتها، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي، لا نظير له في لغات العالم. "(٢٩)

---

٢٩ – ينظر : دراسات في فقه اللغة ص٢٩٢

ثانياً : الاحتياج إلى التصريح :

قد يسأل سائل ، هل التصريح مستهجن ، ومذموم في جميع الأحوال والمواطن ، والظروف ، أم أن هناك مواطن من الممكن أن يكون التصريح فيها ليس مستهجنا ، ولا مذموماً ؟.

أقول وبالله التوفيق : الأصل أنه لا يجوز التصريح بما يستهجن ذكره إلا في مواضع قليلة يحتاج فيها إلى التصريح ، ، كموطن القضاء ، وإقامة الحدود ؛ لأن ضرر التصريح في هذا الموطن شيء لا يذكر بجانب ضرر عدم التصريح ، وتحصيل الإفهام، وبيان الحقيقة في هذا أولى من مراعاة الأدب ، بالإضافة إلى الوقت والمكان الخاص بتلك العلاقة ، فالمقام ، ومراعاة الحال قد يجعل الكلمة الصريحة لا شيء فيها، وقد يجعل الكلمة السالمة قبيحة ومستهجنة .

وقد عابت العرب استخدام الألفاظ الصريحة الكاشفة عن العلاقات الحميمية ، ولذلك لجأوا إلى استخدام المجاز والكناية ، والمرادفات ، وكان ذلك من الأمور المستحبة ، ويرون أن: " الحاجة إلى ستر أقوالهم كالحاجة إلى سترِ أفعالهم فيتحرزون عن التصريح بالتعريضِ فيكنون عن لفظه ، إكراماً لأنفسهم عن التلفظ به "(٣٠) ، ولا ننسى أنَّ اللغة مرآةٌ ينعكس فيها كلُّ ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة والخاصة ، فما يكون عليه الأفراد على سبيل المثال من حشمةٍ وأدبٍ في شئونهم ، ومعاملاتهم ، وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينعكس صداه في لغتهم.

كما أن المعنى يتطور تبعاً لتطور الحياة الاجتماعية ومتطلباتها .(٣١)

---

٣٠ – ينظر : المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء ، للجرجاني ص٥

٣١ – ينظر : علم اللغة بين القديم والحديث ، د. عبد الغفار حامد هلال ص ١٨٣

والقرآن الكريم مليء باستعمال الألفاظ التي يحسن ذكرها بدلا عن الألفاظ التي يقبح ذكرها ، مما يدل علـــــى كريم العبـــــــارات ، ونبيل الألفاظ ، ومجال العلاقة الحميمية بين الزوجين أكثر المجالات التي تسبب الحرج ، ومع ذلك لا نجد في القرآن ما يدل على العلاقة المباشرة بلفظ التصريح ، رغم الأحكام المترتبة عليها إذ جاءت بألفاظ كريمة ، والذي سيتناوله البحث بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

والمتأمل في لغة العرب يجد كثرة في المفردات الدالة على العلاقة بين الرجل والمرأة وما يتعلق بها ، والأصل أن كثيراً من هذه الألفاظ من باب الكناية ، إذ لمّا كانوا حريصين على الاحتشام في اللفظ لجأوا إلى استخدام الكناية للتعبير عن هذه العلاقة ، وما يتصل بها من أقوال وأفعال ، فإذا اشتهر هذا اللفظُ ودلَّ على ما كان يُكْنى عنه صراحةً استحيا العربيُّ من الاستمرارِ في استعمالِه ، فانتقلَ إلى كنايةٍ جديدةٍ غامضةٍ ، وليس غرضهم الاستكثار من هذه الألفاظ .

المبحث الرابع

أسباب البعد عن الاستهجان وأثره

أولاً : أسباب ودوافع البعد عن الألفاظ المستهجنة

إن المبررات والأسباب التي تدعوا الشخص إلى ترك كلمة صريحة ، والإتيان بكلمة أخرى لها نفس الدلالة لكنها أخف منها في التصريح كثيرة ، منها : الخوف ، الجبن ، الاحتشام ، الحياء ، الاشمئزاز ، أو ما يعبر عنه باللغة العامية " القرف "

يقول الجرجاني : " واعلم أن الأصل في الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التي تستر عن العيون عادة من نحو قضاء الحاجة والجماع ، بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها ، تنزهاً عن إيرادها على جهتها وتحرزاً عما وُضع لأجلها، إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها ، فالكناية عنها حرز لمعانيها " . (٣٢)

ويرى أولمان أن دوافع التلطف (البعد عن المستهجن) دوافع نفسية ، وأن المتكلم يعمد إلى استعمال هذا الأسلوب مع كل شيء مقدس أو ذي خطر ، أو مثير للرعب والخوف ، كما يطبقه على الأشياء الشائنة ، أو غير المقبولة لدى النفس (٣٣).

ومجال العلاقة الحميمية أكثر المجالات التي يظهر فيها البعد عن اللفظ المستهجن ، ولذلك كثرت الألفاظ المستخدمة عند العرب في التعبير عن تلك العلاقة ، فكلما استخدمت كلمة واشتهرت وأصبحت صريحة في تلك الدلالة ، لجأ العربي إلى اختيار لفظ آخر يكون أقل صراحة في الدلالة على تلك العلاقة

---

٣٢ – ينظر : المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء ص ٥ ، ٦

٣٣ – ينظر : دور الكلمة في اللغة ص ١٩٦

وفي ذلك يقول الثعالبي : "لَعلَّ أسْماءَ النِّكَاحِ تَبْلُغُ مائَةَ كَلِمَةٍ عَنْ ثِقَاتِ الأئمَةِ بَعْضُها أَصْلِيّ ، وبَعْضُها مُكَنًّى ، وَقَدْ كَتَبْتُ مِنها في تَفْصِيلِ أنْوَاعِهِ وأحْوَالِهِ مَا هوَ شَرْطُ الكِتَابِ". (٣٤)

بل عقد الثعالبي فصلا خاصا بذلك جاء فيه : " الفصل السابع والتسعون: في الكناية عما يُستقبح ذكره بما يستحسن لفظه ، هي من سنن العرب. وفي القرآن: {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ} [فصلت : ٢٠] أي فُرُوجَهم. وقال تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} [النساء : ٤٣] فكنى عن الحدث. وقال تعالى: {فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة : ٢٢٢] وقال عزّ وجلّ: {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} [الأعراف : ١٨٩] فكنى عن الجِماع والله كريم يكني. وقال النبي ﷺ لِقائد الإبل التي عليها نِساؤه: "رِفْقاً بالقَوارير" (٣٥) فكنى عن الحُرَم. وقال عليه الصلاة والسَّلام: "اتقوا المَلاعِنَ" (٣٦) أي لا تُحْدِثوا في الشَّوارع فَتُلْعَنوا. "(٣٧)

فالتحرر عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة التي تفصح عن المغزى ، وتحسن القبيح ، و يأنس بها الطبع ، ولا ينبو عنها السمع ، ولا يحجبها القلب من أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها ، ليس في العربية فحسب بل في معظم اللغات ، لأن كلمات هذا المجال – العلاقة الحميمية – مفضوحة ينفر منها الناس.

وفيما يتعلق بهذا المجال يقول أحد المحدثين من علماء العربية : وكان قد لفت نظري ورود جملة في كتاب (فقه اللغة) للثعالبي هي: (لعل أسماء النكاح تبلغ مائة كلمة عن ثقات الأئمة بعضها أصلي، وبعضها مكنى) ، وكنت في أثناء قراءاتي المتكررة للقاموس

---

٣٤ – ينظر : فقه اللغة وسر العربية ص ١٢٧

٣٥ – مختصر صحيح البخاري باب مَا يَجُوزُ مِنَ الشِّعْرِ وَالرِّجْزِ وَالْحُدَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ ٤/ ٩١ رقم (٢٣٧٤)

٣٦ – سنن ابن ماجة بَابُ النَّهْيِ عَنْ الْخَلَاءِ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، حديث رقم (٣٢٨) ١/ ٢١٨

٣٧ – ينظر : فقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٦

المحيط للفيروز آبادي ، أستغرب كثرة الألفاظ الجنسية ، حتى خُيِّل إلي أنه لا تخلو مادة من مواد المعجم العربي من لفظ جنسي ، دال على اسم أو فعل أو حال لذلك الجانب من حياة البشر وحياة الحيوان ، ثم يستطرد قائلاً : وعددت أنا الألفاظ المتعلقة بهذا المدرك في القاموس فوجدتها تزيد على ألف ومائتين ... وحاولت تعليلاً لهذه الكثرة ، فبان لي أن جانباً كبيراً منها من باب الكناية ؛ حيث كان العربي يكني به عن المدرك الجنسي بلفظ فإذا اشتهر هذا اللفظ ودل على ما كان يكنى عنه صراحة استحيا العربي من الاستمرار في استعماله فانتقل إلى كناية جديدة غامضة . (٣٨)

فالكلمات التي تعبر عن أفعال يستهجنها الذوق الاجتماعي ، وأسماء الأشياء التي ينفر من ذكرها الطبع السليم – كأسماء أعضاء التناسل ،أو يرى عدم التصريح بها مراعاة للياقة والأدب ، فيستعاض عنها بألفاظ كنائية – كالتعبير عن ثديي المرأة بالصدر ، وقد كنى القرآن الكريم عن العلاقة بين الرجل وزوجته بألفاظ مهذبة ٠٠٠ومن هنا فإننا نرى أن بعض الألفاظ تكتسب معاني جديدة تنجم عن آثار نفسية تسيطر على المتكلمين ٠ (٣٩)

ثانياً : البعد عن الاستهجان أمر شرعي :

قد يظن البعض أن استعمال الألفاظ المستحسنة بدلا عن الألفاظ التي يقبح ذكرها أمر جمالي كمالي ، من باب الأخذ بالأفضل والأكمل والأحسن والترفع ، لكنه ظن خاطئ ؛ لأن البعد عن الألفاظ المستهجنة التي يقبح ذكرها ، مطلب شرعي أمر الله سبحانه وتعالى بالابتعاد عنه فقد قال تعالى { إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل : ٩٠]

---

٣٨ – ينظر : عبقرية اللغة ، د عمر فروخ ص ٥٧

٣٩ – ينظر : دلالة الألفاظ ، د٠ إبراهيم أنيس ص ١٤١ ، ١٤٢ ، علم اللغة بين القديم والحديث ص ٢٢٦

كما نهى الرسول ﷺعن الفحش فقال : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ" (٤٠) والبذيء : الفاحش في منطقه وإن كان الكلام صدقا.

بل أخبر الرسول ﷺ بأنه غير محبوب من الله فقال ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ " (٤١) وقد نهى الرسول ﷺ عن الكلام الذي يقبح ذكره فروي أن رسول الله ﷺ قال «مَن قَالَ فِي الْإِسْلَامِ شِعْراً مُقْذِعا فلِسانه هَدَرٌ» (٤٢)

يقول ابن منظور : " والقَذَعُ: الفُحْشُ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يَقْبُحُ ذِكْرُه. " (٤٣)

وقد مرض الإمام الشافعي ، فجاء تلميذه الربيع يعوده ، فقال له: يا إمام! قوَّى الله ضعفك.

فقال له الشافعي: يا ربيع! أصبت المعنى وأخطأت اللفظ ، لو قوَّى الله ضعفي لزاد ضعفي فمرضت ومت ، وإنما قصدك أن يزيل الله ضعفي، أو يضعف ضعفي فتقوى قوتي. (٤٤)

ثالثاً : أثر الألفاظ التي يحسن ذكرها ، والألفاظ التي يقبح ذكرها

لا شك أن اختيار الألفاظ الجيدة هو من الأدب الذي ينبغي أن يأخذ النشء به أنفسهم ، كما يجب علينا أن نحفظ ألفاظنا من الابتذال والفحش ، ونكسوها بالاحتشام ، والأدب ،

---

٤٠ – أخرجه الترمذي كتاب أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ حديث رقم (١٩٧٧)، ٣/ ٤١٨

٤١ – أخرجه أبو داود بَابٌ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ حديث رقم (٤٧٩٢) ، ٤/ ٢٥١

٤٢ – ينظر : شعب الإيمان للبيهقي فَصْلٌ وَمِمَّا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ، عَنِ الشِّعْرِ الَّذِي يَكُونُ هِجَاءً أَوْ فُحْشًا أَوْ كَذِبًا رقم (٤٧٣٦) ٧/ ١٠٢

٤٣ – لسان العرب ٨/ ٢٦٢ (قذع)

٤٤ – ينظر : دروس للشيخ سلمان العودة المؤلف : سلمان بن فهد بن عبد الله العودة مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٢٧٩ درسا]

والسمو،والارتقاء ؛ لأن ذلك أدعى للتقارب والرحمة والمودة ، وقبول الكلام ، وصدق الله إذ يقول : { وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران : ١٥٩]

فعفة اللسان لها أثر كبير في قبول الحق ، والرجوع إليه ، وإصلاح الزلل، فقديماً قيل: « قبل أن تُغضب أحداً فليسمع منك!» ، وخاصة أن المقصود حاصل بالكلام العف. هذا منهج الشرع ، فالذوق في الكلام ، وإلباس الألفاظ أحسنَ الألبسة ، وصياغتها بأسلوب رائع يجعلها خفيفةً على السمع ، سهلة النفوذ إلى القلب ؛ فقد يكون المعنى المراد إيصاله واحداً ، ويكون ما بين تعبير وتعبير كما بين ذات الرَّجْع وذات الصدع.

وفي ذلك يقول القاسمي –رحمه الله–: إياك وما يستقبح من الكلام ، فإنه ينفر عنك الكرام ، ويوثب عليك اللئام .(٤٥) وإياك، ومستهجن الكلام ؛ فإنه يوغر القلوب (٤٦)

فقد تكون المعاني حاضرةً في نفس المتكلم ؛ فإذا عرضها في أسلوب بَاهِتٍ أو مُنَفِّرٍ لم تَلْقَ القبول ، بخلاف ما إذا عرضها في أسلوب بارع ؛ فإنها حينئذٍ تقع مَوْقع الإعجاب ، حتى لكأنها معانٍ جديدةٌ لم يسبق للسامع لها سابقُ علمٍ بها ، ومن كان كذلك حاز المكانةَ العَلِيَّةَ، وصار له المحلُ الأرفعُ في القلوب. (٤٧)

كما أن أضرار سماع هذه الألفاظ ، من الأفلام ، والبرامج ، ومن المواقع على الشبكة العنكبوتية ، ومواقع التواصل الاجتماعي ، ومن الزملاء ، والقرناء ، والأصدقاء ، بل من

---

٤٥ – ينظر : جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب ، جمال الدين القاسمي ص ٦

٤٦ – السابق ص ١٣

٤٧ – ينظر : بحث بعنوان اكس ألفاظك للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد منشور بموقع أرشيف منتدى الألوكة – ٤، وأرشيف أهل الحديث
http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-43-124118.htm

الواقع الحياتي نفسه ، لا يكاد يحصى ، ولا يعد على جميع المستويات فهو مدخل كبير من مداخل الشيطان إلى الفاحشة .

إذ لا يقتصر الأمر على مجرد السماع ، بل ينتقل إلى استخدامها والتحدث بها ، حتى تصبح لغته الأصلية ، والمُطَّلع على تعليقات الناس على " الانترنت " لا أجد ألطف من تعبير " انحلال لفظي وخلقي" للتعبير عن المستوى اللفظي الذي وصلنا إليه ، لا أستطيع أن أستخدم لفظا آخر حتى لا أقع في نفس الخطأ الذي أنتقده

وإذا خاطبت أحدهم بانتقاء الألفاظ أخبرك بأن الشباب لا يفهم غير هذه اللغة ، بل قد يتهمك بالجمود أو أنك تعيش في العصور المظلمة ، وهذا المفهوم الخاطئ عند من يتكلمون بهذه الألفاظ ، كان سبباً في انتشارها انتشار النار في الهشيم ، وصاروا يعلمونها من يعرفون ومن لا يعرفون ، وتلقفها عنهم بشر لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ، وهذا التدني اللفظي من أكبر أسباب الفرقة في المجتمع

بل إن الكلمة مهما قل عدد حروفها ، تظل لها مدلولات إما أن تعانِق الإنسان ، أو ترمي به في غياهب الأحزان ، والأمراض ، والمشكلات النفسية والاجتماعية ، ما لا يمكن تخيُّله ، فالمدلولات واحدة ، ولكن ما يعلق في الذهن ، ما استُخدم من ألفاظ في التعبير عن تلك الدلالات ، وتظل هذه الألفاظ في كثير من الأحيان وراء كل الخير والتوفيق الذي تراه في حياة الإنسان ، وهي ذاتها وراء أثر الحرمان والمعاناة التي يعيشها إنسانٌ آخر.

ومن عجب أن هذه اللغة المستهجنة والمستقبحة لم تعد قاصرة على فئة الشباب أو في الأحاديث الخاصة ، بل امتدت إلى طوائف متعددة من المجتمع ، وفي الأحاديث العلنية ، فأصبحنا نرى في حياتنا اليومية أشخاصًا تبدو عليهم مظاهر الأناقة ، والشكل الجميل لدرجة تأسرك بالإعجاب به ، فما أن يتكلم حتى تمنيتَ أنه لَم ينطقْ بكلمة ، لقد ذهَبت كل تلك الأناقة ، ولم ينفعه بعد كلامه هذا الملبسٌ الجميل ، ولا تلك الأناقة ، وقد أحسن الشاعر :

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ(٤٨)

إنَّ ديننا من الجمال بالدرجة التي يُعنى فيها بالكلمة، ويحرص على أن تكونَ أنيقة في أذن سامعها ؛ يقول الله تعالى في هذا المعنى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء: ٥٣] إن الإنسانَ وهو يتحدث قد يجد مترادفات تؤدِّي نفس المعنى ، لكن قد يكون منها ما هو أبلغ أثرًا ، وأعمق في النفس ، بل وصلتْ عنايته – ﷺ – بأناقة الكلمة إلى معنى كبير ورائع فقال ﷺ :" لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي" (٤٩) فمع أن المعنى واحد أي حصل لها الكسل ، والخمول ، أو المرض ، لكن النبي ﷺ حرص على تجنب كلمة الخُبث ؛ لبشاعتها (٥٠)

وفي قواميس العربيَّةِ ما يصلحُ بديلاً – مع تأديتِه الغرضَ – عمَّا يشين من المفردات وكلما كان الإنسان أقرب إلى لغة القرآن وتربية النبي ﷺ ، كان أعف لساناً، وأطهر كلاماً ؛ ولهذا اهتم السلف بأساليب التخاطب وألفاظ التعامل ؛ فنقّوْها من الفحش والسوء وحاصل هذا المنهج الرباني هو اجتناب الكلام السيئ جملة ، والاقتصار على الحسن ، وانتقاء واختيار الأحسن من بين ذلك الحسن ؛ لأن الألفاظ قد تهدم بيوتا ، وتهلك شعوبا ، وتدمر ثقافات ، وتطيح بتاريخ . وفيما يلي عرض لأهم الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، للدلالة على العلاقة الحميمية .

---

٤٨ – ينظر : جمهرة أشعار العرب ، لأبي الخطاب القرشي ص ١٧٨

٤٩ – أخرجه البخاري باب لاَ يَقُلْ: خَبُثَتْ نَفْسِي ، حديث رقم (٦١٧٩) ، ٨/ ٤١

٥٠ – تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري ٨/ ٤١

الفصل الثاني

ألفاظ العلاقة الحميمية في القرآن الكريم

أولاً : لفظ (أفضى) :

من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم للتعبير عن العلاقة الحميمية بين الزوجين ، لفظ الإفضاء قال تعالى : [وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا] [النساء : ٢١]

وسأبين فيما يلي : دلالة لفظ الإفضاء في اللغة ، وعلاقته الدلالية بالجماع ، والحكمة من العدول عن الجماع إلى الإفضاء

أولاً : دلالة لفظ الإفضاء في اللغة :

جاء الإفضاء في اللغة على عدة معان منها :

- الوصول إلى الشيء يُقَال : أَفْضى فلانٌ إِلَى فلَان : إِذا وَصل إِلَيْهِ ؛ وأَصله أَنه صَار فِي فُرْجته وفضَائه [٥١]

قال ثَعْلَبةُ بن عبيدٍ العَدَويُّ يصفُ نَحْلاً :

شَتَتْ كَثَّةَ الأَوْبَارِ لاَ القُرَّ تَتَّقِي ... ولا الذّئبَ تَخْشى وهي بالبَلَدِ المُفْضي

أي العَراء الذي لا شيءَ فيه ، وأفضى إليه الأمر كذلك [٥٢]

- الدخول في الشيء ، يقال : أَفْضى الرجلُ: دخل على أَهله
- الانتهاء ، والإفضاء فِي الْحَقِيقَة : الِانْتِهَاء ، وَمِنْه قولُ الله جلّ وعزّ: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} (النِّسَاء: ٢١) ، أَي: انْتهى وَأَوَى.

---

٥١ – ينظر : تهذيب اللغة ١٢/ ٥٤ (ف ض ا)

٥٢ – ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ٨/ ٢٥١ (ف ض و)

- الاختلاء : أَفْضَى بهَا: إِذا (خَلاَ بهَا جامَعَ أَمْ لَا) ([٥٣])
- المباشرة : فقد جاء في المغرب : " كِنَايَةً عَنْ الْمُبَاشَرَةِ وَمَنْ قَالَ هُوَ عِبَارَة عَنْ الْخَلْوَةِ فَقَدْ نَظَرَ إِلَى أَصْلِ الِاشْتِقَاق (٥٤)
- المس ، واللمس :

جاء في مختار الصحاح : وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِسِرِّهِ. وَأَفْضَى بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ مَسَّهَا بِبَاطِنِ رَاحَتِهِ فِي سُجُودِهِ. (٥٥)

وفي تاج العروس " وأَفْضَى الساجِدُ بيدِه إِلى الأرضِ: مَسَّها برَاحَتِهِ فِي سُجُودِه٠ (٥٦)

- الغشيان : يقال : أَفْضَى إلى المرأة غَشِيَها قال بعضُهم : إذا خلاَ بها فقد أَفْضَى غَشِيَ أو لم يَغْشَ (٥٧)
- وذهب الزجاج إلى أن : الإِفضاءُ أصله الغشيان (٥٨)
- الجماع ، من معاني لفظ الإفضاء في اللغة الجماع ، فقد جاء في التهذيب : " وأفضى أَيْضا: إِذا جَامعهَا "(٥٩)

ومنه: أَفْضَى بيده إلى كذا، وأَفْضَى إلى امرأته : في الكناية أبلغ ، وأقرب إلى التّصريح من قولهم: خلا بها. قال الشاعر:

---

٥٣ – ينظر : لسان العرب ١٥ / ١٥٧ ، ١٥٨ ، تاج العــروس ٣٩/ ٢٣٩: ٢٤٣(ف ض و)

٥٤ – ينظر : ص ٣٦٢، ٣٦٣ (ف ض و)

٥٥ – ينظر : ص ٢٤١(ف ض ا)

٥٦ – ينظر : ٣٩/ ٢٤٢(ف ض و)

٥٧ – ينظر : ٨/ ٢٥١ (ف ض و)

٥٨ – ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣١

٥٩ – ١٢/ ٥٤(ف ض ا)

طعامهم فَوْضَى فَضًا في رحالهم (٦٠)

أي: مباح ، كأنّه موضوع في فضاء يَفِيضُ فيه من يريده. (٦١)

من خلال ما سبق من أقوال أهل اللغة يتبين أن دلالة كلمة أفضى تدور حول معنى : الوصول إلى الشيء ، والانتهاء إليه ، والدخول فيه ، واللمس ، والاختلاء ، والغشيان ، كما يستخدم للدلالة على الجماع

وقد أكد المفسرون استعمال القرآن للإفضاء بمعنى الجماع ، يقول مجاهد : {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} [النساء: ٢١] يَعْنِي: الْمُجَامَعَةَ (٦٢) أو : وصل (٦٣)

وفي ذلك يقول الطبري : وقد أفضى بعضكم إلى بعض فتباشرتم وتلامستم ، وأما الإفضاء إلى الشيء، فإنه الوصول إليه بالمباشرة له ... والذي عُني به الإفضاء في هذا الموضع، الجماعُ في الفرج. فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه: وكيف تأخذون ما آتيتموهن، وقد أفضى بعضكم إلى بعض بالجماع. (٦٤)

وقال مقاتل: الإفضاء الجماع. (٦٥) ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي. (٦٦)

---

٦٠ – هذا شطر بيت للمعذّل البكري، وعجزه: [ولا يحسنون السّرّ إلا تناديا]
غريب الحديث للخطابي ٢/ ٥٣١ ، شرح الحماسة ٤/ ١٣٦.

٦١ – ينظر : المفردات في غريب القرآن ص٦٤٠

٦٢ – ينظر : تفسير مجاهد ص ٢٧١

٦٣ – ينظر : محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ٢/ ٤٢

٦٤ – ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ٨/ ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦

٦٥ – ينظر : بحر العلوم ، السمرقندي ١/ ٢٩٠، ٢٩١

٦٦ – ينظر : النكت والعيون ، للماوردي ٤٦٧/١

وقد طبق الفقهاء ذلك في أحكامهم ورتبوا على الإفضاء وجوب الغسل ، وثبوت المهر ؛ لأن المراد بالإفضاء هنا الإيلاج(٦٧) وَلَكِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ يُكَنِّي، وَأَصْلُ الْإِفْضَاءِ: الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ (٦٨)

أما عن العلاقة الدلالية بين الجماع والإفضاء ، فتظهر في أن الجماع لا يكون إلا بعد الانتهاء ، والوصول إلى المرأة ، والاختلاء بها ، والتلامس بينهما ، ولفظ الإفضاء يشمل كل هذه الدلالات ، ومن هنا يظهر أن كلمة الإفضاء قد أدت الدلالة المراد إيصالها في هذا الموطن ، ولكن لماذا كنى الله بالإفضاء عن الجماع في هذا الموطن ، وما الدلالة التي تضيفها لفظة الإفضاء ؟

أولاً : البعد عن الألفاظ التي يستهجن ذكرها ــ ولا يستحسن الجهر بها ، ويوقع في الحرج سماعها ، وهذا مبدأ أصيل في آيات القرآن الكريم ٠

ثانياً : الكلام في معرض الإنكار على طلب المهر ، فناسب أن يستخدم لفظ الإفضاء الذي يدل – بجانب دلالته على الجماع – على أن الجماع كان عن رغبة منه بقرينة أنه سبحانه وتعالى عدى الإفضاء بإلى ، للدلالة على وجود تلك الرغبة ، كما أنه حدث بينكم اتصال في كل شيء ، وامتزجتم حتى صرتم كالشيء الواحد في جميع الأمور ، فكيف بعد كل هذا تطلب أن تسترد المهر ، فقد فعلتم أكثر من الجماع ، وهو الإفضاء الكامل في كل الأمور ، ومن ثم لا يجوز للزوج الرجوع فِي شيء من المهر بعد كل هذا .

ومن اللطائف البديعة في الفعل أفضى : أن الله سبحانه وتعالى ترك " الفعل: أفضى بلا مفعول محدد. يدع اللفظ مطلقاً، يشع كل معانيه ، ويلقي كل ظلاله ، ويسكب كل إيحاءاته.

---

٦٧ – ينظر : تفسير الإمام الشافعي ٢/ ٥٦٤، ٥٦٥، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لأبو منصور الهروي ص ٤٨ ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ١/ ٢٥٠، ٢٥١

٦٨ – ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للبغوي ١/ ٥٨٨

ولا يقف عند حدود الجسد وإفضاءاته. بل يشمل العواطف والمشاعر، والوجدانات والتصورات ، والأسرار والهموم ، والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب. يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة آناء الليل وأطراف النهار، وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتهما فترة من الزمان.. وفي كل اختلاجة حب إفضاء. وفي كل نظرة ود إفضاء. وفي كل لمسة جسم إفضاء، وفي كل اشتراك في ألم أو أمل إفضاء. وفي كل تفكر في حاضر أو مستقبل إفضاء. وفي كل شوق إلى خلف إفضاء. وفي كل التقاء في وليد إفضاء..

كل هذا الحشد من التصورات والظلال والأنداء والمشاعر والعواطف يرسمه ذلك التعبير الموحي العجيب وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ .. فيتضاءل إلى جواره ذلك المعنى المادي الصغير، ويخجل الرجل أن يطلب بعض ما دفع ، وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد من صور الماضي، وذكريات العشرة في لحظة الفراق الأسيف! " (٦٩)

ثالثاً : مراعاة السياق ، حيث إن الموقف موقف خصومة ، ونزاع وشقاق فناسب أن يثير جانب سلوكي تعاملي ، وهو حسن الأخلاق والأخذ بالأفضل ، أي لا تنسوا الفضل بينكم ، فالحياة بينكم لم تكن جانب جنسي فقط بل كان فيها من العشرة ما يجعلكم تترفعون عن مثل هذه الأمور ، بالإضافة لدلالة الإفضاء على الأمر الآخر وهو الناحية الجنسية بينهم ، ومن ثم فكان من المناسب استخدام لفظ الإفضاء للدلالة على الأمرين : العشرة والمودة التي توجب حسن الخلق ، والجانب الجنسي

بخلاف لفظ الجماع الذي لا يثير في الذهن إلا العملية الجنسية ، ولا يستدعي غير ذلك من المعاني الحسنة التي يتطلبها الحال

---

٦٩ – ينظر : في ظلال القرآن ١/ ٦٠٦، ٦٠٧

فأراد الله– سبحانه وتعالى – أن:" يرفع مستوى المشاعر الإنسانية في الحياة الزوجية من المستوى الحيواني الهابط إلى المستوى الإنساني الرفيع، ويظللها بظلال الاحترام والمودة والتعاطف والتجمل " (٧٠)

ثانياً : لفظ (باشروهن)

قال تعالى : ينظر : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [البقرة : ١٨٧]

من الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم للدلالة على الجماع لفظ (المباشرة)

معنى المباشرة في اللغة : يقال : باشر الرجل المرأة إذا جامعها ، أو أفضى ببشرته إلى بشرتها ، أو لامسها ؛ وذلك لتلاقي البشرتين. (٧١)

والبشرة : ظَاهر الْجلد ، وَمن ذَلِك قَوْلهم : بَاشر الرجل الْمَرْأَة إِذا ألصق بَشرته ببشرتها.(٧٢). يقول ابن سيده : " وَمن البَشَرة قيل: باشَر فلانٌ فلَانا إِذا ضاجَعَه ، فَولِيَت بَشَرتُه بَشَرتَه " (٧٣).

---

٧٠ – ينظر : في ظلال القرآن ١/ ٦٠٤

٧١ – ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٨/ ٥٨ ، ٥٩ ، لسان العــرب ٤/ ٥٩ ، ٦٠ (ب ش ر)

٧٢ – ينظر : جمهرة اللغة١/٣١٠ (ب ش ر)

٧٣ – ينظر : المخصص ١/٤٠٨

فالبشرة : ظاهرُ جِلْدِ الإِنْسانِ ، قيلَ وغيرِهِ ، جمعُ بَشَرَةٍ ، وباشَرَ الأَمْرَ: ولِيَهُ بنفسِهِ، وَهُوَ مستعارٌ من مُباشَرَةِ الرجلِ المرأَةَ ؛ لأَنه لَا بَشَرةَ للأَمْرِ؛ إِذْ لَيْسَ بِعَيْنٍ. (٧٤)

وباشر المرأةَ : جامَعَها، أو صارَا في ثَوْبٍ واحِدٍ، فباشَرَتْ بشَرَتُهُ بَشَرَتَها. (٧٥).

فالبشَرةُ أَعلَى جِلْدَةِ الرَّأْسِ والوَجْهِ والجَسَدِ من الإِنسان ، وَمِنْه اشْتُقَّتْ مُباشَرَةُ الرَّجلِ المرأَةَ : لتَضامِّ أَبشارِهما(٧٦) وَفِي الحَدِيث: (لم أَبْعثْ عُمّالِي لِيضْرِبُوا أَبشارَكم). (٧٧).

وقد رد ابن فارس المباشرة إلى أصل واحد فقال : " الباء والشين والراء أصلٌ واحد: ظهور الشّيء مع حُسْنٍ وجمال ، فالبَشَرة ظاهِرُ جِلْد الإنسان ، ومنه باشَرَ الرّجُلُ المرأةَ ، وذلك إفضاؤه بِبَشَرتِه إلى بَشَرتها. " (٧٨).

من خلال ما سبق من أقوال أهل اللغة يتبين أن لفظ المباشرة يطلق على الملامسة بالجلد ، والقيام بالشيء ومخالطته ، كما يطلق على الجماع ومقدماته

وقد استعمله الحق سبحانه وتعالى هنا للدلالة على الجماع ، من باب الكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن ذكره ، ولا شك أن لفظ المباشرة قد أدى المعنى المراد : وهو إباحة

---

٧٤ – ينظر : تاج العروس ١٠/١٩٢،١٩١ (ب ش ر)

٧٥ – ينظر : القاموس المحيط١/ ٣٥١(ب ش ر)

٧٦ – ينظر : تاج العروس ١٠/١٨٣(ب ش ر)

٧٧ – أخرجه أبو داود باب القود من الضربة، وقصِّ الأمير من نفسه ، حديث رقم (٤٥٣٧) ٦/ ٥٩٤

٧٨ – ينظر : مقاييس اللغة ١/٢٥١(ب ش ر)

الجماع ليلة الصيام ، وحرمته وقت الاعتكاف ، وهو ما نص عليه المفسرون والفقهاء (٧٩).

وأيضاً : فإن الجماع قد سبق ذكره في الآية بلفظ صريح ألا وهو لفظ الرفث ، فحسنت الكناية به في هذا الموضع لسبق المعرفة ؛ وحتى لا يتكرر التصريح بأمر من طبيعته الستر ، بل قد وقع منهم الجماع حقيقة كما جاء في سبب نزول (٨٠) الآية فلا داعي لذكره صراحة أكثر من مرة

وفي ذلك يقول الرازي : " اتفقوا في هذه الآية على أن المراد به هو الجماع ؛ لأن السبب في هذه الرخصة ، كان وقوع الجماع من القوم ؛ ولأن الرفث المتقدم ذكره لا يراد به إلا الجماع "(٨١).

و" سميت المجامعة مباشرة لتلاصق كلّ واحد منهما ببشرة صاحبه " (٨٢).

بل ذهب الطبري إلى أن جميع لفظ المباشرة في القرآن يقصد به الجماع فقال : "

فأما المباشرة في كلام العرب ، فإنه مُلاقاة بَشَرة ببَشرة ، وبشرة الرجل: جلدته الظاهرة ، وإنما كنى الله بقوله : " فالآنَ باشروهن" عن الجماع. يقول: فالآن إذ أحللتُ لكم الرفثَ إلى

---

٧٩ – ينظر : كتاب غريب القرآن ، السجستاني ١١٨/١ ، بحر العلوم ، السمرقندي ١٢٤/١ ، النكت والعيون ١/ ٢٤٥ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الثعلبي ٢/ ٧٨ ، تفسير القرآن ، المروزى ١/ ١٨٧ ، معالم التنزيل ، البغوي ٢٢٩/١

٨٠ – فقد جاء في سبب نزول هذه الآية : أنها نزلت في نفر من أصحاب النبيّ ( ) كانوا يعتكفون في المسجد ، وإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثمّ يغتسل ويرجع إلى المسجد فنهوا أن يجامعوا ليلاً ونهاراً حتّى يفرغوا من اعتكافهم ٠ ينظر : تفسير النيسابوري ٢/ ٨١،٨٢، المحرر الوجيز ١/ ٢٤٦

٨١ – ينظر : مفاتيح الغيب ٥/ ٢٧١

٨٢ – ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، للثعلبي ٢/ ٧٨

نسائكم، فجامعوهن في ليالي شهر رمضان حتى يطلع الفجر، وهو تبيُّنُ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وكل شيء في القرآن من ذكر "المباشرة" فهو الجماع نفسه ، وقالها عبد الله بن كثير مثل قول عطاء : في الطعام والشراب والنساء.(٨٣)

وقد أكد الزجاج أن المراد بالمباشرة الجماع فقال : " معنى المباشرة هنا الجماع. وكان الرجل يخرج من المسجد وهو معتكف ، فيجامع ثم يعودُ إلى المسجد (٨٤)

وأيضاً فإن لفظ المباشرة هو المناسب للسياق ، حيث إن الآية نصت على عدم جواز المباشرة ، والمباشرة قد تكون في داخل الفرج ، وقد تكون خارج الفرج كما قال ابن منظور (٨٥) ، ومن ثم فلفظ المباشرة هو الأليق من الناحية الدلالية لاشتماله على الأمرين ، بخلاف لفظ الجماع الذي لا يفهم منه غير الجماع في الفرج ، ولذا ذهب بعض الفقهاء إلى أن المحرم في الآية ليس الجماع فقط بل الجماع ودواعيه من التقبيل والمداعبة (٨٦)

وقد أكده الرازي اشتمال لفظ المباشرة للدلالتين فقال: " وَالْأَقْرَبُ أَنَّ لَفْظَ الْمُبَاشَرَةِ لَمَّا كَانَ مُشْتَقًّا مِنْ تَلَاصُقِ الْبَشَرَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ مُخْتَصًّا بِالْجِمَاعِ بَلْ يَدْخُلُ فِيهِ الْجِمَاعُ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ ، وَكَذَا الْمُعَانَقَةُ وَالْمُلَامَسَةُ ".(٨٧)

ثالثاً : لفظ (الحرث) :

من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في الدلالة على العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة لفظ : (الحرث) قال تعالى : { نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [البقرة : ٢٢٣]

---

٨٣ – ينظر : تفسير الطبري ٣/ ٥٠٤، ٥٠٥

٨٤ – ينظر : معاني القرآن ٢٥٧/١

٨٥ – ينظر : لسان العرب ٤/ ٦١ (ب ش ر)

٨٦ – ينظر : بداية المجتهد ٢/ ٨٠

٨٧ – ينظر : مفاتيح الغيب ٥ / ٢٧١

وبالرجوع إلى دلالة هذا اللفظ في كتاب الله تعالى ، وفي اللغة العربية تبين أن لفظ الحرث ورد بمعان متعددة منها :

الثواب والكسب والنصيب ، ومنه قوله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ }[الشورى: ٢٠]

وهو ما أشار إليه الزجاج بقوله :

" من كان يريد جَزاءَ عمل الآخرة نزِدْ له في حرثه، أي نوفقه، ونضاعف له الحسنات ، ومن كان يُريدُ حرث الدنيا، أي مَنْ كَانَ إنما يقْصِدُ إلى الحظِّ من الدنيا وهو غير مؤمن بالآخرة نؤته من الدنيا أي نرزُقه من الدنيا لا أنه يُعطَى كل ما يريدُهُ وإذا لم يؤمن بالآخرة فلا نصيب له في الخير الذي يصل إليه من عمل الآخرة " (٨٨)

وجاء في لسان العرب : وحَرَثَ إذا اكْتَسَبَ لعياله واجْتَهَدَ لهم يقال : هو يَحْرُث لعياله ويَحْتَرِثُ أَي يَكْتَسِب ... من كان يريد كَسْبَ الدنيا والحَرْثُ الثَّوابُ والنَّصِيبُ "(٨٩)

ومنه حديث ابن عمر أنه قال : (احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً واحرث لآخرتك كأنك تموت غداً) (٩٠)

ومن معاني الحرث : العمل في الأرض : قال الخليل : " الْحَرْثُ : قَذفُكَ الحَبُّ في الأرض لازْدِرَاعٍ " (٩١)

وجاء في اللسان " الحَرْثُ والحِراثَةُ العَمل في الأَرض زَرْعاً كان أَو غَرْساً ، وقد يكون الحَرْثُ نفسَ الزَّرْع (٩٢) وبه فَسَّر الزجاجُ قوله تعالى : " أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ

---

(٨٨) ينظر : معاني القرآن ٣٩٧/٤

(٨٩) ينظر : ٢/ ١٣٤ ، ويراجع : التهذيب ٤/ ٢٧٥ ، مختار الصحاح ص٦٩ (ح ر ث)

(٩٠) ينظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٢٨٦/١

(٩١) ينظر : العين ٣/ ٢٠٥ ، التهذيب ٤/ ٢٧٥ (ح ر ث)

أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ " [البقرة : ١١٧] أي زرع قوم ظلموا أنفسهم فعاقبهم اللَّه بإذهاب زرعهم – فأهلكته. (٩٣)

كما يطلق لفظ الحرث على : آلة إشعال النار ، قال الليث : مِحْراثُ النَّار : مِسْحَاتُها التي تحرك بها النار ٠ (٩٤)

ومن معانيها : التفتيش ، والبحث ، والتنقيب ، ومنه : " تفتيش الكتاب وتدبُّره ، ومنه قول عبد الله : (احْرُثوا هذا القرآن) أي فتشوه . (٩٥)

كما يطلق لفظ الحرث على النساء : فيطلق على المرأة (حرث) ، وهو ما لم ينكره الزجاج ، حيث قال : " وقالوا في (الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) : إن الحرث : النساء ، والنسل : الأولاد ، وهذا غير منكر ، لأن المرأة تُسمَّى حرْثاً – قال اللَّه عزَّ وجلَّ: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) "٠ (٩٦) قال الأزهري (٩٧) : " حرْثُ الرجلِ : امرأتُه ، وأنشد المُبَرِّدُ :

إِذَا أَكَلَ الجَرَادُ حُرُوثَ قَوْمٍ فحَرْثِي هَمُّه أَكْلُ الجَرادِ (٩٨)

ويطلق أيضاً الحرث على : منبت الولد : أي ائْتوا موضع حَرْثِكم كيف شِئْتم مُقْبِلةً ومُدْبِرةً . (٩٩) ومنه قوله تعالى : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى

---

(٩٢) ينظر : ٢/ ١٣٤ (ح ر ث)

(٩٣) ينظر : معاني القرآن ١/ ٤٦١

(٩٤) ينظر : التهذيب ٤/ ٢٧٥ (ح ر ث)

(٩٥) ينظر : التهذيب ٤/ ٢٧٥ ، اللسان ٢/ ١٣٤ (ح رث)

(٩٦) ينظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٧، ٢٧٨

(٩٧) ينظر : التهذيب ٤/ ٢٧٥ (ح رث)

(٩٨) ينظر البيت في : تهذيب اللغة ٤ / ٢٧٦، الحلل في شرح أبيات الجمل ، ص٢٨ ، اللسان ١٣٤/٢ ، تاج العروس ٥/ ٢١٥ (ح رث) ولم أعثر عليه في كتاب الكامل للمبرد

شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " [البقرة : ١١٧]

وهو ما صرح به الرازي حيث قال : " حَرْثٌ لَكُمْ أَيْ مَزْرَعٌ وَمَنْبَتٌ لِلْوَلَدِ، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ، فَفَرْجُ الْمَرْأَةِ كَالْأَرْضِ، وَالنُّطْفَةُ كَالْبَذْرِ، وَالْوَلَدُ كَالنَّبَاتِ الْخَارِجِ، وَالْحَرْثُ مَصْدَرٌ، وَلِهَذَا وَحَّدَ الْحَرْثَ فَكَانَ الْمَعْنَى نِسَاؤُكُمْ ذَوَاتُ حَرْثٍ لَكُمْ فِيهِنَّ تَحْرُثُونَ لِلْوَلَدِ"[١٠٠].

ومن المعاني التي يطلق عليها الحرث : الجماع : فقد جاء في لسان العرب : " الحَرْثُ الجماع الكثير وحَرْثُ الرجل امرأَتُه "(١٠١)

من خلال ما سبق يتبين أن : " الحرث : مصدر حرث يحرث ، وهو شق الأرض ليبذر فيها الحب ، ويطلق على ما حرث وزرع ، وهو مجاز في : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) والحرث : الزرع ، والحرث : الكسب ، والحرائث : الإبل ، الواحدة حريثة ،وفي الحديث أصدق الأسماء الحارث ؛ لأن ، الحارث هو الكاسب ، واحتراث المال : اكتسابه . (١٠٢)

و قد رد ابن فارس الأصل اللغوي للحرث إلى معنيين فقال : (حَرَثَ) الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالثَّاءُ أَصْلَانِ مُتَفَاوِتَانِ: أَحَدُهُمَا الْجَمْعُ وَالْكَسْبُ، وَالْآخَرُ أَنْ يُهْزَلَ الشَّيْءُ. فَالْأَوَّلُ الْحَرْثُ، وَهُوَ الْكَسْبُ وَالْجَمْعُ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ حَارِثًا٠٠٠ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ حَرْثُ الزَّرْعِ. وَالْمَرْأَةُ حَرْثُ الزَّوْجِ ؛ فَهَذَا تَشْبِيهٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مُزْدَرَعُ وَلَدِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢٢٣] . وَالْأَحْرِثَةُ: مَجَارِي الْأَوْتَارِ فِي الْأَفْوَاقِ ؛ لِأَنَّهَا تَجْمَعُهَا.

---

(٩٩) ينظر : التهذيب ٤/ ٢٧٥، ٢٧٦(ح رث)

(١٠٠) ينظر : التفسير الكبير ٦/ ٤٢١

(١٠١) ينظر : ٢/ ١٣٤ (ح رث)

(١٠٢) البحر المحيط ١/ ٤١٣

وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَيُقَالُ حَرَثَ نَاقَتَهُ: هَزَلُهَا؛ أَحْرَثَهَا أَيْضًا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَنْصَارِ لَمَّا قَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: مَا فَعَلَتْ نَوَاضِحُكُمْ؟ قَالُوا: أَحْرَثْنَاهَا يَوْمَ بَدْرٍ. (١٠٣)

وأرى أنه من الممكن رجوع الأصل الثاني إلى الأصل الأول ، على اعتبار أن الأصل الأول وهو : الحرث والعمل في الأرض يؤدي إلى الأصل الثاني ألا وهو : الهزال ، فالهزال ناتج ومترتب على كثرة الحرث والعمل ، ويؤيده قول الصحابة لمعاوية رضي الله عنهم أحْرَثْنَاها يَوْمَ بَدْرٍ.

وهذا اللفظ – الحرث – وإن كان في الأصل لشق الأرض والزرع ، وكل ما حرث كما قال الزجاج. (١٠٤) إلا أنه استعمل للدلالة على الجماع مجازاً كما قال أبو حيان (١٠٥) ، أو كناية ، وتشبيها ، كما قال أبو عبيدة (١٠٦)

في حين اعترض الزجاج على ذلك ، وذهب إلى أنه من قبيل ذات المعنى فقال : " زعمَ أبو عُبَيدَة أنه كناية ، : والقول عندي فيه أنَّ معْنى نساؤكم حَرْثٌ لكم : فيهنَّ تحْرُثون الولد واللَّذَّة " .(١٠٧)

وبعد فقد تبين أن هذا اللفظ قد دل على معاني متعددة ، فهو من الألفاظ المشتركة ، ومن هذه المعاني : الجماع ، والفرج ، ولكن لماذا عدل القرآن عن لفظ : الجماع والفرج إلى لفظ : الحرث

فأقول وبالله التوفيق :

---

(١٠٣) ينظر : مقاييس اللغة ٤٩/٢(ح رث)

(١٠٤) ينظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٧٨

(١٠٥) ينظر : البحر المحيط ١/ ٤١٣

(١٠٦) ينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ٧٣/١

(١٠٧) ينظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٩٨

أولاً : أن هذا مبدأ أصيل في جميع آيات القرآن الكريم ، حيث يعبر الله سبحانه وتعالى عن المعاني المستقبح ذكرها بألفاظ يستحسن ذكرها ، واللفظ المُكنى به يؤدي المعنى تاماً ، بل يفوق المعنى الأصلي للفظ في الدلالة على المعنى المراد في هذا الموضع ؛ لأن السياق يستدعي اللفظ المكنى به ، فدلالة اللفظ غير الصريح هي المناسبة والملائمة للسياق

ثانياً : استخدم القرآن الكريم لفظ : الحرث ، لأنه هو الذي يؤدى المعنى المراد من الآية دون غيره من الألفاظ ؛ وذلك لأن هذه الآية نزلت تشريعاً لأمر مهم ألا وهو كيفية إتيان المرأة ٠ فنزلت الآية ، لتبين المكان والكيفية فاستخدمت لفظ (الحرث) ، للدلالة على القبل فقط ، وليس على الدبر ، ولتبين أن المباح هو الإتيان في القبل وليس الدبر ، لأن القبل هو الحرث ، ولتحرث أرضك بأي كيفية ما دامت في مكان الحرث والزراعة ، وسمى الله – سبحانه وتعالى – القبل بالحرث ؛ لأن الحرث مكان استيلاد الزرع حيث توضع فيه البذور لتنبت ، فكذلك القبل مكان استيلاد الولد حيث توضع فيه النطفة لتخلق بإذن الله ٠

أيضاً الناس يختلفون في كيفية الزراعة : فمنهم من يزرع بالغرس ، ومنهم من يزرع ببذر البذور على وجه الأرض ، ومنهم من يبذر أولاً ثم يروي بالماء ، ومنهم من يروي أولاً ، وهكذا فطرق الزراعة متعددة ومختلفة لكنها جميعها في مكان الحرث ، فاستعار الله – سبحانه وتعالى – لفظ الحرث ، ليدل على المعنى المراد من مكان الجماع ، وكيفية الجماع ولا يقوم غيره مقامه٠

بالإضافة إلى أن من معاني لفظ الحرث : المتاع ، مما يدل على أن هذا المكان متاع لكم ، فاستمتعوا بمتاعكم كيف تشاءون ، حتى أصبح لفظ الحرث كأنه نفس المعنى وليس كناية ، ومما يؤكد ذلك سبب نزول الآية :

فقد روى الحاكم في مستدركه : " عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، وَهَمَ إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُمْ أَهْلُ وَثَنٍ، مَعَ هَذَا الْحَيِّ

مِنَ الْيَهُودِ، وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، كَانُوا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلًا عَلَيْهِمْ، فَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَأْتُوا النِّسَاءَ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ أَسْتَرُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ، فَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ شَرْحًا مُنْكَرًا، وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ، تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَذَهَبَ يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ، فَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: إِنَّمَا كُنَّا نُؤْتَى عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَاصْنَعْ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَاجْتَنِبْنِي حَتَّى سَرَى أَمْرُهُمَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة: ٢٢٣] «أَيْ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ، يَعْنِي ذَلِكَ مَوْضِعَ الْوَلَدِ»٠(١٠٨)

فمن يأتي حرثه يزرع لعياله كما أن من يأتي أهله يزرع نطفة أبنائه ، فقد هيأ الله تعالى المرأة لكي تكون الوعاء الذي يمد الأرض بالبشر وعن طريقها تعمر الأرض وجعلها أنيس الرجل ، واطمئنانه . فعند مجامعة الرجل زوجته –وبعد إذن الله تعالى– تحمل جنيناً في بطنها ، وبعد إتمام الحمل تلد ما قدره الله لهما

وفي ذلك يقول القرطبي : "حرث تشبيه لأنهن مزدرع الذرية، فلفظ الحرث يعطى أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج خاصة إذ هو المزدرع وأنشد ثعلب : [الرمل] (١٠٩)

إنما الأرحام أرضون لنا محترثات فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

ففرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذر والولد كالنبات، فالحرث بمعنى المحترث٠(١١٠)

---

(١٠٨) المستدرك على الصحيحين ، النيسابوري ٢١٢/٢

(١٠٩) ينظر : موسوعة الشعر الإسلامي ، جمعها وأعدها : علي بن نايف الشحود ١٠٢/٣٣٩، برواية

إنّما الأهلون أرضو ... ن لنا محترثاتٍ – فعلينا الزرع فيها ... وعلى الله النّبات ، بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر ، ص ١٦٢

فلفظ الحرث أعطى كل هذه المعاني ، وبه استغني عن ألفاظ قد يستهجن من ذكرها كلفظ الفرج أو القبل أو الدبر أو الجماع ، كما أن معنى الحرث وما ينتج عنه موجود في الفرج ، وهو ما أكدته السنة النبوية الشريفة فقد [نهى النبي صلى الله عليه و سلم أن يسقي الرجل ماءه زرع غيره] (١١١) يريد به النهي عن وطء الحبالى فإن ماء الواطئ يزيد في الحمل كما يزيد الماء في الزرع ، وقوله صلى الله عليه و سلم : [إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه] (١١٢)

فالولد كسب الرجل ، والزرع الذي في الأرض كسب المزدرع له الذي بذره ، وسقاه ، وأعطى أجرة الأرض ، فإن الرجل أعطى المرأة مهرها ، وهو أجر الوطء كما قال تعالى : " وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ [الممتحنة ١٠] ، وهو مطابق لقوله تعالى : " مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ " [المسد : ٢] ، وقد فسر { ما كسب } بالولد فالأم هي الحرث وهي الأرض التي فيها زرع والأب استأجرها بالمهر كما يستأجر الأرض وأنفق على الزرع بإنفاقه لما كانت حاملا ثم أنفق على الرضيع كما ينفق المستأجر على الزرع والثمر إذا كان مستورا وإذا برز فالزرع هو الولد وهو من كسبه (١١٣)

رابعاً : لفظ (الدخول)

لفظ الدخول من الألفاظ التي استعملها القرآن للدلالة على العلاقة الحميمية – الجماع – ، وهو من الألفاظ التي استخدمها العرب

---

(١١٠) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩٣/٣

(١١١) أخرجه أبو داود حديث رقم (٢١٥٨) ٣/ ٤٨٧ ، باب في وطء السَّبايا

(١١٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث (٢٥٨٤٥) ، ٤٣ / ٣٨ ، أبو داود باب في الرجل يأكل من مال ولده ، حديث رقم (٣٥٢٨) ٥/ ٣٨٨

١١٣ – ينظر : الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٣٧٣ ، ٣٧٤

قال تعالى : { وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ }[النساء : ٢٣]

يقول الزمخشري: فإن قلت: ما معنى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ؟ قلت: هي كناية عن الجماع، كقولهم : بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى أدخلتموهن الستر. (١١٤)

" وَعَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ تَزَوَّجَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَهِيَ صَغِيرَةٌ بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ وَكَانَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا» أَيْ تِسْعَ سِنِينَ إلَى أَنْ قُبِضَ ﷺ " (١١٥)

فـــ :" قَوْلُهُ بَنَى بِهَا أَيْ حَمَلَهَا إلَى بَيْتِهِ وَدَخَلَ بِهَا وَكَلَامُ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ بَنَى عَلَيْهَا يَبْنِي بِنَاءً أَيْ ضَرَبَ عَلَيْهَا قُبَّةً أَيْ خَيْمَةً ، لِزَفِّهَا وَحَمْلِهَا إلَيْهِ ثُمَّ صَارَ عِبَارَةً عَنْ الزِّفَافِ بَنَى عَلَيْهَا قُبَّةً أَوَّلًا وَبَنَى بِهَا غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ عِنْدَهُمْ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ عَلَى أَلْسُنِ الْعَامَّةِ وَالزِّفَافُ اسْمٌ مِنْ زَفَّ الْعَرُوسَ إلَى زَوْجِهَا زَفًّا مِنْ حَدِّ دَخَلَ أَيْ حَمَلَهَا إلَيْهِ. (١١٦)

وقد أكد ذلك صاحب مشارق الأنوار على صحاح الآثار فقال : " قَوْله وَبني بهَا وَهُوَ مُحْرم يُقَال بني فلَان بأَهْله إِذا دخل بهَا ، وَبنى عَلَيْهَا أَيْضا ، وَأنكر يَعْقُوب بنى بهَا وَقَالَ الْعَامَّة تَقوله ، وَإِنَّمَا يُقَال بنى عَلَيْهَا ؛ لأَنهم كَانُوا إِذا أَرَادَ أحدهم الدُّخُول بأهله بنى عَلَيْهَا قبَّة أَو بِنَاء تحل فِيهِ ويخلوا مَعهَا فِيهِ " (١١٧)

---

١١٤ – ينظر : الكشاف ١/ ٤٩٦ ، تفسير النسفي ١/ ٣٤٦

١١٥ – أخرجه البخاري كتاب النكاح بَابُ إِنْكَاحِ الرَّجُلِ وَلَدَهُ الصِّغَارَ حديث رقـــم (٥١٣٣) ٧/ ١٧

١١٦ – ينظر : طلبة الطلبة ص ٤٢، النهاية فـــي غريـــب الحـــديث والأثـــر ١/ ١٥٨ ، المصباح المنير ١/ ٦٢ ، تاج العروس١٦/٢٤٨، (ب ن ي)، تهذيب اللغة ٢/ ٥١ (ع رس) ١٣ / ١١٨ (، تاج العروس ٢٣/٣٩١ (زف ف)

١١٧ – مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/ ٩١

وقد بين كراع النمل السبب في ذلك فقال : " بَابُ مَا عُدِلَ به عن جهته لكثرة استعمال الناس إياه ٠٠٠ومنه قولهم: بَنَى بِأَهْلِهِ ، وإنما كان الرجل إذا تزوج المرأة بنى عليها بَيْتَهُ، يعنون خِبَاءَهُ فكثر ذلك حتى صار الرجل يدخل على أهله في الدار التي بُنِيتْ قبل ذلك بِزَمَانٍ فيقال: بَنَى بِأَهْلِهِ. (١١٨)

وما زال الناس يستخدمون لفظ الدخول إلى الآن ، ولا يجدون في استعماله أي حرج ، بل أصبح علامة على العرس وانتقال الزوجة إلى منزل الزوجية ، ولذلك نجد أنه إذا عقد النكاح ولم تنتقل الزوجة بعد ، لا يقال دخل بها بل يقال عقد عليها ، فإذا انتقلت لبيت الزوجية قيل دخل بها

وقد اشتهر هذا اللفظ في الدلالة على النكاح ، حتى أن بعض الفقهاء عده من الألفاظ الصريحة في النكاح

أما عن السر في أن لفظ الدخول استخدم في الدلالة على الجماع ، واشتهر حتى أصبح صريحا فيه ، ومع ذلك ظل هذا اللفظ غير مستهجن أو مستقبح فهو : أن الفظ

يستخدم في العلاقة المبنية على نكاح ، أما العلاقة الحميمية المحرمة ، فلا توصف بالدخول لا في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في لغة العرب ، ولا في العامية ، فارتبط اللفظ في ذهن الناس بالعلاقة الشرعية القائمة على النكاح ، أي أنه عنوان على الفرح والعرس ، ومن ثم ابتعدت الدلالة الجنسية عنه ، وغلبت عليه دلالة الفرح والسرور ، وإقامة المنزل ، وتأسيس الأسرة ، ويؤكد ذلك أن لفظ العُرْس في اللغة : اسْم من إعراس الرجل بأَهْله إِذا بنى عَلَيْهَا وَدخل بهَا (١١٩)

---

١١٨ – ينظر : المنتخب من غريب كلام العرب ص ٦٤٤

١١٩ – ينظر : تهذيب اللغة ٢/ ٥١ ، لسان العرب ٦/ ١٣٥ (ع رس)

بالإضافة إلى أن لفظ الدخول لا يدل إلا على مجرد الدخول دون أي إيماءات أو إيحاءات يقول ابن عادل : " عَلَّقَ رفع الجناح بمجرَّدِ عدم الدُّخُولِ ، وهذا يقتضي أنَّ المقتضي لحصول الجناح هو : مُجرَّدُ الدُّخُولِ (١٢٠) وهذا إن دل فإنما يدل على علو قيمة لغة القرآن وسموها وخلوها من أي لفظ يجرح الشعور ، أو يحمل حرجاً٠

خامساً : لفظ (الرفث)

قال تعالى : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }[البقرة ١٨٧]

من الألفاظ التي ذكرها القرآن الكريم للدلالة على العلاقة بين الرجل والمرأة لفظ : (رفث) وفيما يلي بيان دلالة هذا اللفظ في اللغة ، والدلالة المقصودة منه في الآية الكريمة ، وسر التعبير به هنا ٠

أولاً : معنى الرفث في اللغة :

ذهب كثير من اللغويين إلى أن الرفث : الفحش يقال : "رَفَثَ ، يرفُثُ ، أي يقول: الفُحْش (١٢١)

جاء في المخصص ". أَرفثَ فِي كَلَامه يرفُث رفْثاً ورِفث رَفَثاً وأرْفَث – أفحَش.(١٢٢)

---

١٢٠ – ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٦/ ٢٩٣

١٢١ – ينظر: العين للخليل ٨/ ٢٢٠، الصحاح١/ ٢٨٣، ٢٨٤ ، كتاب الأفعال لابن القَطَّاع الصقلي ١٤/٢ (رف ث)

١٢٢ – ينظر: ٣٨٧/٣

يقول ابن دريد : " والرفث : قَبِيح الْكَلَام. ورفث الرجل يرْفث رفثا ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ النَّهْي فِي التَّنْزِيل فِي قَوْله جلّ وَعز: {فَلَا رفث وَلَا فسوق وَلَا جِدَال فِي الْحَج} [البقرة : ١٩٧]. (١٢٣)

قال العجاج : ورُبَّ أَسْرابِ حَجيجٍ كُظَّمِ * عن اللَّغا ورفث التكلم (١٢٤)

في حين جعل البعض الفحش في أمر النساء ، أو عند النساء خاصة ، يقال : فلان يَرفُث ، إِذا أفحش فِي شأْن النِّسَاء. (١٢٥) قال الخليل : " الرَّفَث ما قيل عند النّساءِ.(١٢٦) ، وقيل : الرَّفَث حَدِيث النِّسَاء بِالْجِمَاعِ وَنَحْوه. (١٢٧)

وقال الزجاج : (الرفث) كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة ، (١٢٨) من تقبيل ونحوه مما يكون في حالة الجماع (١٢٩)

وفي مجمل اللغة : الرفث: النكاح في قوله – جل ثناؤه –: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} .[البقرة : ١٨٧] ويقال من الكلام القبيح: أرفث ورفَثَ. (١٣٠)

وذهب ابن سيده إلى أن الرفث يطلق على الجماع ودواعيه فقال : " الرَّفَثُ الجِماعُ وغيرُه مِمّا يَكُونُ بينَ الرَّجُلِ وامْرَأَتِه ، يعني التَّقْبِيلَ والمُغازَلَةَ ونَحْوَهُما مما يَكُونُ في حالِ الجِماعِ

---

١٢٣ – ينظر: جمهرة اللغة ١ / ٤٢٢(رف ث)

١٢٤ – ينظر: الصحاح ١/ ٢٨٣ (رف ث)

١٢٥ – ينظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٥٨ (رف ث)

١٢٦ – ينظر: العين ٨/ ٢٢٠ (رف ث)

١٢٧ – ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٤٢٢(رف ث)

١٢٨ – ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٥٥، ٢٥٦

١٢٩ – ينظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٥٨ ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيـــة ١٦٣/٢(رف ث)

١٣٠ – ينظر: ٣٩٠/١ (رف ث)

، وقد رَفَثَ بِها ومعها " (١٣١) فالرفث : الْجِمَاعُ ودواعيه ، وَالرَّفَثُ فِي غَيْرِ هَذَا : هُوَ الْكَلَامُ الْقَبِيحُ ، وَقَدْ رَفَثَ يَرْفُثُ رَفْثًا مِنْ حَدِّ دَخَلَ وَأَرْفَثَ يُرْفِثُ إِرْفَاثًا مِنْ حَدِّ أَدْخَلَ أَيْ تَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ(١٣٢)

وقد أرجع ابن فارس : (الرفث) إلى أصل واحد فقال : الرَّاءُ وَالْفَاءُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ كُلُّ كَلَامٍ يُسْتَحْيَا مِنْ إِظْهَارِهِ . وَأَصْلُهُ الرَّفَثُ ، وَهُوَ النِّكَاحُ ٠٠٠وَالرَّفَثُ: [الْفُحْشُ] فِي الْكَلَامِ. يُقَالُ أَرْفَثَ وَرَفَثَ. (١٣٣)

من خلال ما سبق تبين أن الأصل اللغوي للفظ (الرفث) قد تطورت دلالته فانتقل من التعميم إلى التخصيص فبعد أن كان يطلق على كل كلام فاحش أو قبيح تخصصت دلالته وأصبح يطلق على الكلام الفاحش الذي يقال عند النساء بغرض الجماع

ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه عَن زِيَادِ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِالْإِبِلِ، وَهُوَ يَقُولُ: «وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسًا ٠٠٠» ، قَالَ: قُلْتُ: أَتَرْفُثُ وَأَنْتَ مُحْرِمٌ ؟: فَقَالَ : إِنَّمَا الرَّفَثُ مَا رُوجِعَ بِهِ النِّسَاءُ" (١٣٤)

---

١٣١ – ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٤١/١٠(ر ف ث)

١٣٢ – ينظر: طلبة الطلبة ، النسفي ص٢١

١٣٣ – ينظر: المقاييس ٤٢١/٢(رف ث)

١٣٤ – أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب التفسير باب سورة البقرة ، وقال حديث صحيح الإسناد حديث رقم (٣٠٩٣) ٢/ ٣٠٣ ، سنن سعيد بن منصور كتاب التفسير سورة البقرة ٣/ ٨٠٦ ، رقم (٣٤٥)

وقد نص الأزهري على هذا فقال : فَرَأى ابْن عبَّاس (الرَّفَثَ) الَّذِي نَهى الله عَنهُ مَا خُوطبت بِهِ المَرأة، فَأَما أَن يَرفُثَ فِي كَلَامه ولَا تَسمع امْرَأَة رَفَثَه، فغَيْرُ داخلٍ فِي قَوْله تَعَالَى: {فَلاَ رَفَثَ} [الْبَقَرَة: ١٩٧] (١٣٥)

وهو ما أكده الرازي قال : الرَّفَثُ أَصْلُهُ قَوْلُ الْفُحْشِ ، فَثَبَتَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الرَّفَثِ هُوَ قَوْلُ الْفُحْشِ ، ثُمَّ جُعِلَ ذَلِكَ اسْمًا لِمَا يُتَكَلَّمُ بِهِ عِنْدَ النِّسَاءِ مِنْ مَعَانِيَ الْإِفْضَاءِ ، ثُمَّ جُعِلَ كِنَايَةً عَنِ الْجِمَاعِ وَعَنْ كُلِّ مَا يَتْبَعُهُ. (١٣٦)

قَالَ ابْن عَبَّاس: إِن الله حييّ كريم ، يكنى بالْحسنِ عَن الْقَبِيح (١٣٧). فالفحش في الكلام هو : ما يقال للنساء خاصة بغرض الجماع ، أو الجماع نفسه ، أو مقدماته .

وهو ما وضحه الزمخشري بقوله : " رفث في كلامه وأرفث وترفث : أفحش وأفصح بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح ٠٠٠ وقيل : الرفث بالفرج : الجماع ، وباللسان: المواعدة للجماع ، وبالعين الغمز للجماع " ٠ (١٣٨)

واكتفى به المعجم الوسيط فقد جاء فيه : " (الرَّفَث) كلمة جَامِعَة لما يُرِيد الرجل من الْمَرْأَة فِي سَبِيل الِاسْتِمْتَاع بهَا من غير كِنَايَة ". (١٣٩)

والمتتبع لمفردات العلاقة الزوجية في القرآن يجد أن القرآن الكريم لم يستخدم لفظا صريحا في الدلالة على هذا الأمر إلا في هذا الموضع ، وهو ما ظهر من خلال البحث ، إذا ما السر في استخدام القرآن لهذا اللفظ الصريح في الفحش؟ يظهر – والله أعلم – : أنه

---

١٣٥ – ينظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٥٨(رف ث)

١٣٦ – ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦٩/٥

١٣٧ – ينظر: تفسير القرآن ، لأبي المظفر المروزى ١/ ١٨٦

١٣٨ – ينظر:أساس البلاغة٣٦٧/١ ، المغرب في ترتيب المعــرب ص ١٩٢ ،١٩٣ (رف ث)

١٣٩ – ينظر: ٣٥٨/١ (رف ث)

جاء من قبيل الأمر الواقع ، بمعنى : أنه قد حدث رفث ، وفحش ، وتصريح بهذا الأمر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن ثم خاطبهم الله سبحانه وتعالى بما وقع منهم ، فهم أرفثوا ، أي أفحشوا وأفصحوا بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح ، وكان الواجب عليهم ألا يصرحوا بل يستعملوا الكناية ، فلما صرحوا استخدم الحق معهم اللفظ الصريح .

ويؤيد ذلك أمرين :

أحدهما : لفظة (يختانون) في قوله تعالى : {عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ } حيث دلت على وقوع هذا الأمر منهم قبل أن يحله الله تعالى ، ومن ثم استهجن ذلك منهم ، فاستخدم الله سبحانه وتعالى معهم لفظ الرفث الذي يدل على القبح(١٤٠)

وفي ذلك يقول الرازي : فإن قيل : لم كنى هاهنا عَنِ الْجِمَاعِ بِلَفْظِ الرَّفَثِ الدَّالِّ عَلَى مَعْنَى الْقُبْحِ؟ جَوَابُهُ: السَّبَبُ فِيهِ اسْتِهْجَانُ مَا وُجِدَ مِنْهُمْ قَبْلَ الإباحة كَمَا سَمَّاهُ اخْتِيَانًا لِأَنْفُسِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١٤١)

وهو ما أكده النسفي بقوله : " إنما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ، ولم يقل الإفضاء إلى نسائكم استقباحاً لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا (١٤٢)

ثانيهما : سبب نزول الآية فقد روى أبو داود في سننه : " كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَفْطَرَ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ لَمْ يَأْكُلْ حَتَّى يُصْبِحَ ، قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَرَادَ امْرَأَتَهُ فَقَالَتْ إِنِّى قَدْ نِمْتُ

---

١٤٠ – قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وما هذه الخيانة التي كانَ القوم يختانونها أنفسهم، التي تابَ الله منها عليهم فعفا عنهم؟

قيل: كانت خيانتُهم أنفسَهم التي ذكرها الله في شيئين، أحدهما: جماع النساء، والآخر: المطعم والمشربُ في الوقت الذي كانَ حرامًا ذلك عليهم ينظر : تفسير الطبري ٣ / ٤٩٣

١٤١ – ينظر: مفاتيح الغيب ٥/ ٢٦٩

١٤٢ – ينظر: تفسير النسفي ١/١٠٥

فَظَنَّ أَنَّهَا تَعْتَلُّ فَأَتَاهَا ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَرَادَ الطَّعَامَ فَقَالُوا حَتَّى نُسَخِّنَ لَكَ شَيْئًا فَنَامَ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ – ﷺ – هَذِهِ الآيَةُ { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ }. (١٤٣)

وهذه اللفظة تبين وتؤكد موضوع البحث ، وكيف أن القرآن ابتعد عن كل ما هو مستهجن ومستقبح ، مع مراعاة الجانب الدلالي.

سادسا : لفظ (السر)

من الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم للتعبير عن الجماع لفظ : السر

قال تعالى : { وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة : ٢٣٥]

لفظ (السر) من الألفاظ التي لم تنتشر في الدلالة على الجماع ، وقد استخدمه القرآن الكريم للدلالة على ذلك ، والحكمة في استخدامه في هذا المعنى (الجماع) في هذا الموضع يرجع إلى ما يأتي :

أولاً : الأصل الذي اتبعه القرآن في الكناية عن المعنى الذي يستقبح ذكره بألفاظ يستحسن ذكرها ، للبعد عن الاستهجان .

ثانياً : لفظ السر في اللغة العربية التي نزل بها القرآن يستخدم في الدلالة على الجماع والنكاح ، فالسر في اللغة : الشيء المخفي ، أي : ما أسررت ، وهو ضد الإعلان ، وأسرَرْتُ الشيء : كَتَمْتُه (١٤٤) قال الشاعر (الفرزدق) :

---

١٤٣ – سنن أبي داود ١٢٣/١ باب كيف الآذان حديث رقم (٥٠٦) قال عنه الألباني حديث صحيح

فلما رأى الحَجّاجَ جَرَّدَ سيفَه ... أسَرَّ الحَرُورِيّ الذي كان أَضْمَرا (١٤٥)

وقد ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى إلى أن السر يستخدم في الدلالة على الجماع ، واستدل على ذلك بالشعر العربي فقال :السِّر الإفْصَاح بالنكاح قال الحطيئة :

ويحْرم سرُّ جارَتهمْ عليْهمْ. . . ويأْكلُ جَارُهَمْ أنفَ القصَاع (١٤٦)

وقال رؤبة بن العجّاج:

فعفّ عن إسرارها بعد العسق (١٤٧)

وقال امرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنّنى ... كبرت وألا يحسن السرّ أمثالى (١٤٨)

يعنى غشيانها، أراد الجماع. (١٤٩)

وهو ما اختاره الزجاج فقال : وهذا القول عندي صحيح. (١٥٠) وهو ما ذهب إليه الخليل فقال : " والسِّرُ: كناية عن الجِماع " (١٥١)

في حين لم يخص ابن فارس استعمال السر للدلالة على النكاح بالكناية فقال : " السِّينُ وَالرَّاءُ يَجْمَعُ فُرُوعَهُ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ. وَمَا كَانَ مِنْ خَالِصِهِ وَمُسْتَقَرِّهِ. لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْهُ عَنْ

---

١٤٤ – ينظر: العين ٧/ ١٨٦

١٤٥ – ينظر: البيت في: تهذيب اللغة ٢٠١/١٢، لسان العرب ٤/ ٣٥٧ ، تاج العروس ١٢ / ١٧(س ر ر) ولم أعثر عليه في ديوانه

١٤٦ – ينظر: البيت في الديوان ص ٨٧

١٤٧ – ينظر: البيت في ديوانه ص ١٣٤

١٤٨ – ينظر: البيت في ديوانه ص ٩

١٤٩ – ينظر: مجاز القرآن ١/ ٧٥ ، ٧٦

١٥٠ – ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٣١٧، ٣١٨

١٥١ – ينظر: العين ٧/ ١٩٠(س ر ر)

هَذَا. فَالسِّرُّ: خِلَافَ الْإِعْلَانِ. يُقَالُ أَسْرَرْتُ الشَّيْءَ إِسْرَارًا، خِلَافَ أَعْلَنْتُهُ. وَمِنَ الْبَابِ السِّرُّ، وَهُوَ النِّكَاحُ (١٥٢)

بل نص إن ابن سيده على أن من معان السر النكاح ، وبين السبب في ذلك فقال : " والسِّرُّ النِّكاحُ ؛ لأَنَّه يُكْتَمُ والسُّرِّيَّةُ الجاريَةُ المُتّخَذةُ للمِلْكِ والجِماعِ " (١٥٣)

ثالثاً : ثبت من خلال ما سبق استعمال السر في الدلالة على النكاح من الناحية ال+لغوية ، والحكمة في استخدام لفظ السر في هذا الموطن – والله أعلم – في دلالة السياق ؛ لأن سياق الكلام في النهي عن المواعدة بالنكاح للمرأة المطلقة في أثناء العدة ، ولما كانت المواعدة بالنكاح لا تكون إلا في السر ؛ لأن المرأة ما زالت في العدة ، ولا يمكن إعلان ذلك ، ناسب الحال اختيار لفظ السر ، فالسياق كله عن السر.

أيضاً لو استخدم لفظ النكاح أو الجماع لاقتصرت الدلالة على حرمة النكاح أو الجماع فقط ، وهو أمر معلوم بالطبيعة أنه لا يجوز النكاح في العدة ، لكن استخدام لفظ السر، أفاد تحريم النكاح ، والجماع الحلال ، والحرام ، ودواعيهما ، والمواعدة عليه ، ولذلك نجد المفسرون أشاروا إلى احتمال اللفظ لهذه الدلالات

فقد قال المروزي : فِي معنى هَذَا السِّرّ أَقْوَال، أَصَحهَا: أَنه أَخذ مِيثَاق النِّكَاح مِمَّا نهى الشَّرْع عَنهُ فِي حَال الْعدة ، وَقيل: السِّرّ: الزِّنَا. وَقيل: هُوَ الْوَطْء. " والسِّرُ: كناية عن الجِماع ... قَالَ الشَّافِعِي قَوْله: {لَا تواعدهن سرا} هُوَ أَن يصف نَفسه بِكَثْرَة الْجِمَاع؛ ليرغبها فِي نِكَاحه.(١٥٤)

---

١٥٢ – ينظر: مقاييس اللغة ٣/ ٦٧ (س رَّ)

١٥٣ – ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٨/ ٤٠٦ (س ر ر)

١٥٤ – ينظر: تفسيرالقرآن لأبي المظفر المروزى ١/ ٢٤٠،تفسير التستري ص ٣٥

وقد بين الطبري ذلك بقوله : " وضوح صحة تأويل ذلك أنه بمعنى الغشيان والجماع وإذ كان ذلك صحيحا، فتأويل الآية:.٠٠٠حرم عليكم أن تواعدوهن جماعا في عددهن، بأن يقول أحدكم لإحداهن في عدتها:" قد تزوجتك في نفسي، وإنما أنتظر انقضاء عدتك"، فيسألها بذلك القول إمكانه من نفسها الجماع والمباضعة، فحرم الله – تعالى ذكره – ذلك. (١٥٥)

وقال القتبي: سمي الجماع سراً، لأنه يكون في السر فيكنى عنه. (١٥٦)

وقال بعضهم: هو الزنا٠٠٠٠ وإنما قيل للنكاح والزنا والجماع السرّ ؛ لأنها تكون بين الرجل والمرأة في خفاء، ويقال أيضا : للفرج سرّ لأنّه لا يظهر، وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي:

لمّا رأت سرّي تغيّر وانحنى ... من دون [نهمة] سرّها حين انثنى (١٥٧)

سابعاً : لفظ (عاشروهن)

من الألفاظ التي استخدمها القرآن للدلالة على العلاقة الحميمية ، لفظ " وعاشروهن "

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا }[النساء : ١٩]

قد يرى البعض أن هذا اللفظ مستهجن ، فكيف يستخدمه القرآن ، مع أن منهج القرآن عدم استخدام مثل هذا النوع من الألفاظ التي يستحي الإنسان من ذكرها

---

١٥٥ – ينظر: تفسير الطبري ١١٢/٥ ، ١١٣

١٥٦ – ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٥٥

١٥٧ – ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٢/ ١٨٦

وهذا رأي ، وقول خاطئ ، ووجه الخطأ فيه يظهر من خلال ما يلي :

أولاً : لفظ المعاشرة اشتهر في العرف الآن في الدلالة على الجماع ، وأصبح عندما يطلق الآن يتبادر إلى الذهن معنى الجماع ، خاصة في الأماكن الريفية ، والبيئة الحيوانية

ثانياً : لفظ المعاشرة في أصل اللغة ، وعند القدماء ، والسابقين ، لم يكن خاصا بالجماع ، ولا يدل عليه إلا إيماء وتلميحا ، فلم يكن مستهجناً ، ولا مستقبحاً ، ومن ثم فاستخدام القرآن له كان على لغة العرب ، واستخدامه فيما بينهم

فقد استخدم لفظ العشرة في اللغة بمعنى : المخالطة والمصاحبة (١٥٨)

جاء في المصباح المنير : " و" وَالْعِشْرَةُ بِالْكَسْرِ اسْمٌ مِنْ الْمُعَاشَرَةِ وَالتَّعَاشُرِ وَهِيَ الْمُخَالَطَةُ. (١٥٩) ولذلك استخدمه القرآن مع الذكور بعضهم البعض ، قال تعالى { لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} [الحَجّ : ١٣] ، أي لبئس المعاشر .

فالعَشِيرُ : القَرِيبُ ، والصَّدِيقُ ، وعَشِيرُ المَرْأَةِ : الزَّوْج لأَنّه يُعَاشِرُهَا وتُعاشرُه . وبه فُسِّر الحديث : لأَنَّهُنَّ يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ويَكْفُرْنَ العَشِيرَ . والعَشِيرُ : المُعَاشِرُ ، كالصَّدِيقِ والمُصادِقِ ، والعَشِيرُ : صَوْتُ الضَّبُعِ .(١٦٠)

وعشيرة الرجل جماعته ، وقبيلته ، وذلك لما بينهم من المعيشة ، أي اختلاط أمورهم في كل شيء ، قال أبو عبيد : العشيرة تكون للقبيلة ولمن هو أقربُ إليه من العشيرة ، ولمن دونهم ، وقال ابن شميل : العشيرة العامّة ؛ مثل بني تميم وبني عمرو بن تميم.(١٦١)

يُقَالُ : أنت أطولُ به عِشْرَةً وأبطنُ به خِبْرَةً قَالَ زهير :

(لعَمْرُكَ والخطوب مغيّرات ... وفي طول المعاشرة التَّقَالي) (١٦٢)

---

١٥٨ – ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٦٠٢ (ع ش ر)

١٥٩ – ينظر: ٢/ ٤١٠(ع ش ر)

١٦٠ – ينظر: تاج العروس ٤٤/١٣(ع ش ر)

١٦١ – ينظر: تهذيب اللغة ١ / ٢٦٢(ع ش ر)

وعشيرك : الذي يعاشرك ، أمركما واحد ، وسمّيت عشيرة الرّجل لمعاشرة بعضهم بعضا ، والزوج عشير المرأة ، والمرأة عشيرة الرجل ، والمَعْشَرُ : كل جماعة أمرهم واحد

المسلمون مَعْشَر ، والمشركون مَعْشَر ، والإنْسُ مَعْشَر ، والجنّ مَعْشَرَ وجمعه : مَعَاشِرُ(١٦٣)

ثالثاً : الاستهجان في ألفاظ العلاقة الحميمية يأتي من كثرة تكرارها ، واستعمالها في الدلالة على الجماع خاصة دون غيره ، ولذلك لما كثر استخدام لفظ المعاشرة في الجماع أصبح مستهجنا عند من خاصه بالجماع ، وهذا يبين لنا السر في أن القرآن الكريم أكثر من استخدام ألفاظ متعددة للدلالة على العلاقة الحميمية ، حتى لا يؤدي كثرة استخدام لفظ إلى استهجانه ، فلفظ المعاشرة قد دخله بعض التخصيص عند طائفة من الناس ، فأصبحت دلالته الغالبة عند ذكره ، الجماع فقط دون باقي أنواع الدلالة

بمعنى أن لفظ المعاشرة اشتهر في الجماع في عرف خاص : – وهو مجموعة العادات أو التقاليد الخاصة التي تسود في بيئة اجتماعية بعينها أو في عصر بعينه – ومن ثم فتظل دلالته الصريحة على الجماع في حدود هذا العرف الخاص الزماني والمكاني.

أما في العرف العام: – وهو مجموعة العادات التي يتعارف عليها أبناء الجنس البشري في عمومه في كل زمان ومكان – فتظل دلالة لفظ المعاشرة على الجماع بصورة تضمنية غير مستهجنة عند بقية أفراد المجتمع ، على اختلاف البيئات وتتابع العصور؛ لأنها لا يستأثر لها مجتمع دون غيره ، ولا يختص بها عصر دون عصر ، ولأنها ترتكز في تلك الدلالات على تقاليد العرف الإنساني العام ، ويعتبر هذا من أسباب خلود القرآن الكريم

---

١٦٢ – ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٨٦

١٦٣ – ينظر: العين ١/ ٢٤٨(ع ش ر)

ومسايرته لجميع العصور والأزمان ، لأنه يخاطب ويرتكز على العرف العام الغالب ، ومن ثم فلا تفقد الكلمة حسنها بمضي عصرها ، ولا تفقد دلالتها بزوال المجتمع والعرف الذي نشأت في ظلاله ، بل هي من قبيل ما جرت به العادة واستقر عليه العرف في كل المجتمعات وعلى توالى العصور

رابعاً : الابتذال الأخلاقي ، واللغوي هو الذي جعل اللفظ مستهجنا ، فنتيجة الانحدار الأخلاقي والقيمي للمجتمع ، انعدم حمل اللفظ على المعاني الأخلاقية الجميلة ، وأصبح الأصل عند كثير من الناس قصر دلالة الألفاظ على الدلالة الجنسية فقط ، مستبعدين كل المعاني الإنسانية والقيمية التي يحملها اللفظ ، والدافع للحمل على تلك الدلالة هو المستوى الأخلاقي ، وكما قلت سابقا ، فإن اللغة هي مرآة الشعوب ، تنهض بنهوض القيم وتنحدر بانحدار تلك القيم ، فلما كثرت وانتشرت النزعة الجنسية على الملأ والعلن ، أصبح الأصل عند الناس حمل دلالة كثير من الألفاظ على تلك الدلالة ، مستبعدين جميع أنواع الدلالات الأخرى ، وهذا يدل على مكانة ، وأثر القيم المجتمعية في الدلالة اللغوية

خامساً : سياق الآية يستدعي لفظ المعاشرة ، ولا يستدعي غيره من ألفاظ الجماع الصريحة ، لأن الموقف في الآية ، موقف خصومة ونزاع وظلم ، وشقاق ، حيث إن الآية تبين ظلم الرجل للمرأة ، بأن يرثها كرها ، أو يعضلها ليأخذ منها ما دفعه لها من المهر ، فالسياق فيه ردع وزجر للزوج أن يستعيد ما أعطاه لزوجته من مهر بعد تلك المعاشرة الزوجية ، فناسب أن يستخدم القرآن لفظ العشرة ليبين للزوج ما كان بينهما من الألفة والمودة ، والمحبة ، والطعام والشراب والسكنى ، والقرب ، والجماع وغير ذلك من الدلالات التي تجعله يعاملها بالمعروف ، أي ما كان بينكما من علاقة حسية ومعنوية يستدعي أن تعاملها بالمعروف

أما لفظ الجماع الصريح فلا يدل إلا على العلاقة الحميمية فقط ، والتي لا تدعوه إلى المعاملة بالمعروف ، ومن ثم كان المناسب استخدام لفظ العشرة ، ليجمع كل تلك الدلالات بما فيها الجماع نفسه ، وهذا دليل على علو قيمة القرآن ، وأن كل لفظة لها دلالة لا تقوم لفظة أخرى مكانها ٠

وسبب نزول الآية يؤكد ذلك فقد نزلت الآية : بسبب أن القوم كانوا يُسِيئُونَ مُعَاشَرَةَ النِّسَاءِ فَقِيلَ لَهُمْ: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ النَّصَفَةُ فِي الْمَبِيتِ وَالنَّفَقَةِ، وَالْإِجْمَالُ فِي الْقَوْلِ. (١٦٤)

ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بعاشروهن : "تَوْفِيَةُ حَقِّهَا مِنَ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ، وَأَلَّا يَعْبَسَ فِي وَجْهِهَا بِغَيْرِ ذَنْبٍ، وَأَنْ يَكُونَ مُنْطَلِقًا فِي الْقَوْلِ لَا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا وَلَا مُظْهِرًا مَيْلًا إِلَى غَيْرِهَا. وَالْعِشْرَةُ: الْمُخَالَطَةُ وَالْمُمَازَجَةُ. وَمِنْهُ قَوْلُ طَرَفَةَ :

فَلَئِنْ شَطَّتْ نَوَاهَا مَرَّةً ... لَعَلَى عَهْدِ حَبِيبٍ مُعْتَشِرْ(١٦٥)

جَعَلَ الْحَبِيبَ جَمْعًا كَالْخَلِيطِ وَالْغَرِيقِ. " (١٦٦)

وهذا يبين قيمة القرآن في مراعاته لجميع الأمور اللغوية ، والدلالية ، والكمالية ، فالصلة واضحة بين المعيار اللغوي ، والدّلالي ، والجمالي في كلمة واحدة

فكلمة " وعاشروهن " مناسبة ، تومئ بظلالها إلى المعنى الحميمي ، والمعاني الخلقية ، والنفسية ، وهذا يدلّ على النّهوض بالنفس البشرية، وإبعادها عن الابتذال ٠

---

١٦٤ – ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٣٠ ، مفاتيح الغيب ١٢/١٠، البحر المحيط ٣/ ٥٧٠ ، اللباب ٦/ ٢٦١ ، روح البيان ٢/ ١٨٢

١٦٥ – ينظر: البيت في ديوانه ص ٤٠ برواية : فَلَئِنْ شَطّتْ نَواهَا، مَـرّةً ... لَعَلَـى عَهْـدِ حَبِيبٍ مُعتَكِرْ ، المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٣٦٠ ، لسـان العـرب ٤/ ٥٧٤ ، تـاج العروس ١٣/ ٥٣ (ع ش ر)

١٦٦ – ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٩٧

ثامناً : لفظ (تغشاها)

قال تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }[الأعراف : ١٨٩]

من الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم للتعبير عن الجماع لفظ " تَغَشَّاهَا " وهو صريح في الجماع لا يحتمل غيره بدليل أن الله سبحانه وتعالى رتب على الغشيان الحمل فقال تعالى :" فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ "

وقبل أن نبين بعض الأسرار الدلالية في هذا لابد أن نرجع إلى كتب اللغة للوقوف على دلالة لفظ تغشى في اللغة ، وبيان العلاقة ، والترابط الدلالي بين تغشى ، والجماع ، والمعاني الدلالية الموجودة في تغشى ، والتي تناسب المقام والسياق

أقول : لفظ غشي في اللغة يدور حول معنى : التغطية ، والاحتواء ، والتمكن من الشيء ، يقول الخليل :" غاشِيَةُ السَّيْف والرَّحْلِ غِطاؤه ، والغِشْيانُ : إتْيانُ الرجلِ المرأةَ والفعلُ غَشِيَ يَغْشى ، والرجلُ يَسْتَغْشي ثَوْبَه كي لا يسمَعَ ولا يَرَى كقوله تعالى : (واسْتَغْشَوا ثِيابَهُم) [نوح : ٧] (١٦٧)

يقول الفيومي : " وَالْغِشَاءُ الْغِطَاءُ وَزْنًا وَمَعْنًى ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ غَشَّيْتُ الشَّيْءَ بِالتَّثْقِيلِ إذَا غَطَّيْتَهُ ، وَالْغِشَاوَةُ بِالْكَسْرِ الْغِطَاءُ أَيْضًا" (١٦٨)

وجاء في المعجم الوسيط : (غشي) الليل غشا أظلم ، والفرس وغيره أبيض رأسه كله من بين جسده فهو أغشى ، وهي غشواء ، والأمر فلانا غشا وغشيا غطاه وحواه ، يقال غشيه النعاس ، وغشيه الموج ، وغشيه العذاب ، وغشيه الموت والمكان غشيانا أتاه ،

---

١٦٧ – ينظر: العين ٤/٤٢٩، تهذيب اللغة ٨/١٤٥(غ ش ي)

١٦٨ – ينظر: المصباح المنير ٢/ ٤٤٧ (غ ش ي)

والأمر لابسه وباشره ، وفلانا بالسوط ضربه به شديدا (غشي) عليه غشية وغشيا وغشيانا أغمي عليه فهو مغشي عليه ، (أغشى) الله بصره جعل عليه غشاء يغطيه ، و(تغشى) الشيء تغطى والشيء فلانا غطاه ، ويقال : تغشى فلان بثوبه تغطى به ، (استغشى) ثوبه وبثوبه تغطى به كي لا يسمع ولا يرى ، غشية الموت ما ينوب الإنسان حينئذ من غيبوبة [١٦٩]

من خلال ما سبق يتبين أن لفظ غشي في المعاجم العربية : يستخدم في معنى الإحاطة بالشيء والشمول له ، حتى أنه يذهب ما كان ويصبح الشيء الجديد هو الظاهر والواضح والمرئي ، بل وأذهب ما كان حتى أنه لم يعد له وجوداً ، ولكن هل استخدم اللفظ عند العرب قبل الإسلام في هذا المعنى ، أم أنه استخدم ابتداء في القرآن ؟ وما السر في استخدام اللفظ في هذا الموطن ؟ وهل أصبح هذا اللفظ حقيقة في الجماع ؟

لم يرد عند علماء العربية فيما أعلم – والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم – ما يفيد أن العرب قديماً استخدمت لفظ غشي في الجماع ، ولكن القرآن استخدم هذا اللفظ بهذا المعنى (الجماع) ، وذلك على سبيل الكناية ، فيكون من قبيل الألفاظ التي اكتسبت دلالة جديدة عن طريق الإسلام ، وتظهر العلاقة بين الغشيان والجماع في أن الرجل عند الجماع يعتلي المرأة ويشملها ويحوطها ، ويسترها بنفسه ، ويكون هو الظاهر والمرئي .

ويتضح السر في استخدام لفظ الغشيان في هذا الموطن بدلا عن الجماع في أن لفظ الغشيان يناسب المقام ؛ لأن الحديث هنا يتكلم عن أصل الخلقة ، وكيف أن الرجل والمرأة نفس واحدة ؛ لأن المرأة مخلوقة من الرجل ، ولم يكن عندئذ قد وجد غيرهما ، كما أنه ناسب ما قبله حيث بينت نفس الآية احتياج الرجل إلى المرأة في السكن إليها ، ومن ثم ناسب أن يأتي بعدها باحتياج المرأة إلى الرجل ليحيطها ويشملها ، ويكون غطاء لها .

---

١٦٩ – ينظر : ٦٥٣/٢ (غ ش ي)

هذا بالإضافة إلى المقصد الأصلي ، وهو البعد عن الألفاظ التي يستهجن ذكرها ، واستخدام ألفاظ يستحسن ذكرها في التعبير عن نفس المعنى ، يقول الخازن : " كنى به عن الجماع أحسن كناية ، لأن الغشيان إتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها إذا علاها وتجللها " [١٧٠] فلفظ تغشى أدى مفهوم لفظ الجماع ، واكتسب دلالة جديدة بإضافته للمرأة ، وأفاد معان أخر بدلالة السياق ٠

أما عن كون هذا اللفظ أصبح حقيقة في الجماع عند إضافته للمرأة ، فمن الممكن أن نقول : إن لفظ الغشيان دخله التطور اللغوي حيث اشتهر لفظ (غشي المرأة) في الجماع حتى أنه أصبح يطلق على الجماع الآن حقيقة ، وعند إطلاق لفظ غشيها ينصرف إلى الجماع لا إلى غيره من المعاني كالستر والتغطية ، لكن ليس بالضرورة نسخ الدلالة القديمة وإنما تُضاف إلىها فتزيد المجال الدلالي اتساعاً

بدليل أن الفقهاء جعلوه صريحا في الجماع فقد جاء في طلبة الطلبة : " وَلَوْ حَلَفَ لَا يَغْشَاهَا فَكَذَلِكَ – يحنث أو يولي – لِأَنَّ الْغِشْيَانَ مِنْ حَدِّ عَلِمَ يُسْتَعْمَلُ لِلْمُجَامَعَةِ وَأَصْلُهُ لِلْمَجِيءِ " وَفِي الْقُرْآنِ :{ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ[الأعراف : ١٨٩} أَيْ وَطِئَهَا. [١٧١]

تاسعاً : لفظ (لباس)

قال تعالى : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ

---

١٧٠ – ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ٣٢٤/٢ ، تفسير الرازي٧٣/١٥ ، تفسير النيسابوري٤٤/٤

١٧١ – ينظر : ص ٦٢ (غ ش ي)

الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [البقرة : ١٨٧]

من الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم في التعبير عن العلاقة بين الرجل والمرأة لفظ : (لباس) حيث استخدم القرآن لفظ اللباس لوصف العلاقة الحميمية التي تكون بين الرجل والمرأة ، وبعون الله تعالى نوضح هنا دلالة هذا اللفظ من خلال الرجوع إلى كتب اللغة والتفسير ، وتوضيح العلاقة الدلالية بينه وبين لفظ الجماع ، ومدى ملائمة لفظ اللباس للسياق

أولاً : اللباس في اللغة :

يدور لفظ اللباس في اللغة حول : معنى الاختلاط ، والستر ، والتداخل ، وعدم تميز الأشياء ووضوحها ٠

يقول الأزهري : اللَّبْس: اخْتِلَاط الْأَمر، يُقَال فِي أَمرهم لَبْس ، قَالَ: وَيُقَال: لبَسَت عَلَيْهِ الأمرَ فَأَنا أَلبِسه لَبْساً: إِذا خَلَطْتَه عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَعرفَ جِهتَه. ولبَست عَلَيْهِ الْأَمر ألبِسه : إِذا خلطته. (١٧٢).

وذهب الجوهري إلى أن اللبس بالفتح : مصدر قولك : لَبَسْتُ عليه الأمر أَلْبِسُ، أي خلطت، من قوله تعالى: {وللَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسونَ} [الأنعام : ٩] واللَّبْسُ أيضاً: اختلاط الظلام، واللِباسُ: ما يُلْبَسُ. وكذلك المَلْبَسُ. واللِبْسُ بالكسر مثله. ولِبْسُ الكعبةِ والهودجِ: ما عليهما من لِباسٍ.(١٧٣)،"(لَابَسَ)الْأَمْرَ خَالَطَهُ. وَ(لَابَسَ) فُلَانًا عَرَفَ بَاطِنَهُ. وَ(الْتَبَسَ) عَلَيْهِ الْأَمْرُ اخْتَلَطَ وَاشْتَبَهَ. وَ (التَّلْبِيسُ) كَالتَّدْلِيسِ وَالتَّخْلِيطِ شُدِّدَ لِلْمُبَالَغَةِ (١٧٤).

---

١٧٢ – ينظر : تهذيب اللغة ٣٠٧/١٢(ل ب س)

١٧٣ – ينظر : الصحاح ٩٧٣/٣(ل ب س)

١٧٤ – ينظر : مختار الصحاح ص ٢٧٨ (ل ب س)

أما عن سر اختيار القرآن للفظ اللباس في هذا الموطن فيظهر في :

أولا : أن العرب تسمى المرأة لباس

فلِباسُ الرجل: امرأته. وزوجُها: لِباسُها. قال الله تعالى: {هن لباس لكم وأنتم لباس لَهُنَّ} وقال الجعديّ:

إذا ما الضَجيعُ ثَنى جيدَها * تثَنَّتْ عليه فكانت لباسا (١٧٥).

قال الزجاج : وقوله عزَّ وجلَّ: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) .

قد قيل فيه غير قول : قيل المعنى ، فَتُعانقوهن وُيعَانِقْنكم ، وقيل : كل فريق منكم يسكن إلى صَاحِبه وُيلابسه كما قال عزَّ وجلَّ : (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) [الأعراف : ١٨٨] والعرب تسمى المرأة لباساً ٠٠٠

ألاَ أبْلِغ أبَا حَفْصٍ رَسُولا. . . فِدًى لكَ من أخِي ثِقَةٍ إِزاري

قال أهل اللغة: فدى لك امرأتي. (١٧٦)

ثانياً : البعد عن الاستهجان والتصريح بتلك العلاقة التي تتطلب ألفاظا لا يليق ذكرها في القرآن

ثالثا: السياق يتطلب لفظ اللباس ، ولا يقوم غيره مقامه ؛ لأن السياق سبق فيه ذكر الرفث الذي يدل دلالة قوية على العلاقة ، وقد يستحي البعض من فعل الرفث ، فجاء لفظ اللباس ، للدلالة على أن الرفث لا غضاضة فيه ، ولا تَحَرُّج من فعله ؛ لأن الزوجة لباس للزوج ، والزوج لباس لها ، ومن ثم فلا مشكلة حينئذ ؛ لأنها ستر لك وأنت ستر لها فلا حرج ٠

---

١٧٥ – ينظر : الصحاح ٣/٩٧٣(ل ب س)

١٧٦ – ينظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٥٦

كما أنه يفيد الملكية والدخول في الشيء ، وقوة الامتزاج ، فبما أن كل واحد لباس للآخر ، فيجوز القول الفاحش ، والفعل الفحش – الذي هو الرفث – ؛ لأنه في هذه الحالة خاص ، وهذا مكانه .

كما أن من قوة الاختلاط بينهما صارا شيئا واحدا ، وبالتالي حل الرفث ؛ لأنه ليس فيه تصريح حينئذ ، فعلة إباحة الرفث : أنه لا يوجد تصريح ؛ لأن الكلام كأنه لنفسه ، بالإضافة إلى أن لفظ اللباس يشتمل على عدد من المعاني التي توجد في الحياة الزوجية ، والتي يتطلبها المقام ، ولا توجد تلك المعاني في لفظ الجماع الصريح ، من ذلك : معنى الاختلاط :

فقوة الاختلاط تجعل الشيئين شيئا واحدا " لبَسَت عَلَيْهِ الأمرَ فَأَنا أَلبِسه لَبْساً: إِذا خَلَطْتَه عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَعرفَ جِهتَه. " (١٧٧) ومن ثم لا يتحرز كل منهما عن الآخر في شيء لقوة العلاقة ، يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ هِيَ لِبَاسُكَ، وَفِرَاشُكَ، وَإِزَارُكَ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُمَازَجَةِ.

وَلَمَّا كان يَعْتَنِقَانِ وَيَشْتَمِلُ كُلٌّ مِنْهُمَا على صَاحِبَهُ فِي الْعِنَاقِ، شُبِّهَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِاللِّبَاسِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ ، أيضا قوة العلاقة تجعل الابتعاد صعب ، فإِذَا حَصَلَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مِثْلُ هَذِهِ الْمُخَالَطَةِ وَالْمُلَابَسَةِ قَلَّ صَبْرُكُمْ عَنْهُنَّ، وَضَعُفَ عَلَيْكُمُ اجْتِنَابُهُنَّ ، فَلِذَلِكَ رَخَّصَ لَكُمْ فِي مُبَاشَرَتِهِنَّ ، فجملة (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) لَا مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، بَلْ هِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ كَالْبَيَانِ لِسَبَبِ الْإِحْلَالِ، وَهُوَ عَدَمُ الصَّبْرِ عَنْهُنَّ لِكَوْنِهِنَّ لَكُمْ فِي الْمُخَالَطَةِ كَاللِّبَاسِ (١٧٨).

---

١٧٧ – ينظر : تهذيب اللغة ١٢/ ٣٠٧ (ل ب س)

١٧٨ – ينظر : البحر المحيط ٢/ ٢١٢ ، اللباب لابن عادل ٣/ ٣٠٨

كما أن لفظ لبس يشتمل على : معنى التمتع ، ومن ثم يقال : لبِستُ امْرَأَة ، أَي: تمتّعت بهَا زَماناً " (١٧٩) ، كما أن فيه معنى السكن والإحاطة قال تعالى : {جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاساً} (الْفرْقَان: ٤٧) ، أَي: تَسكُنون فِيهِ، وَهُوَ مشتمِل عَلَيْكُم ، كما يشتمل على معنى المعرفة الباطنية يقال : " لابَسَ فلانا عرف باطنه "، فكما أن اللباس يمنع السؤة ، كذلك المرأة للرجل ، والرجل للمرأة ، كل واحد منهما ستر للآخر ، يواري سؤاته وفحشه ، ويمنعها من الظهور " كما أن اللباس يمنع أن تبدو السوءة.

أيضا هذا اللباس يمنع من الحرام ، فكما أن اللباس الحقيقي يمنع من ظهور السوءة ، فكذلك المرأة والرجل كل منهما لباس للآخر يمنعه من الحرام ، لتجردهما عند النوم من اللباس ، ومن ثم جاء الخطاب ليناسب طبيعة حالتهم في ذلك ، فكل واحد كأنه لباس الآخر الذي يلبسه ، لانعدام الملبس الحسي الخاص بكل واحد منهما

كما يشتمل على بيان درجة القرب والشمولية والخصوصية ، لأن اللباس الخاص بالإنسان هو ملك له لا يشاركه فيه أحد " إِنَّهُ يَخُصُّهَا بِنَفْسِهِ، كَمَا يَخُصُّ لِبَاسَهُ بِنَفْسِه :

فكل واحدٍ منهما يخصُّ نفسه بالآخر ؛ كما يخصُّ لباسه بنصيبه. (١٨٠).

وفيه معنى الاحتياج والنعمة فكما أن اللباس يحميك من البرد والحر ، كذاك الرجل للمرأة ، والمرأة للرجل كل منهما حماية للأخر من جميع الأمور ، كَمَا يَسْتَتِرُ الْإِنْسَانُ بِلِبَاسِهِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمَضَار

فاللباس هاهنا مستعار ، والمراد به قرب بعضهم من بعض ، واشتمال بعضهم على بعض ، كما تشتمل الملابس على الأجسام ، وعلى هذا المعنى كنوا عن المرأة بالإزار.(١٨١) ،

---

١٧٩ – ينظر : لسان العرب ٦/ ٢٠٣ (ل ب س)

١٨٠ – ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ٣ / ٤٨٩: ٤٩١

١٨١ – ينظر : تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، الشريف الرضى٢/ ١١٩

وقيل :" كنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد باللباس، كما يكنى بالثياب عن جسد الإنسان، كما قالت ليلى وهي تصف إبلا ركبها قومٌ:

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ، فَلا تَرَى ... لَهَا شَبَهًا إلا النَّعَامَ المُنَفَّرَا (١٨٢).

وقال أصحاب المعاني: اللّباس الشعار الّذي يلي الجهار من الثياب فسمّي كل واحد من الزوجين لباسا ، لتجردهما عند النوم ، واجتماعهما في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه ، حتّى يصير كلّ واحد منهما لصاحبه كالثوب الّذي يليه ، ويدلّ على صحّة هذا التأويل قول الربيع بن أنس في هذه الآية: هنّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهنّ

أيضاً : كل واحد ستر للآخر عن الوقوع في الحرام ؛ لأن المرأة تعف الرجل عن الحرام ، وكذلك الرجل يعف زوجته عن الحرام ، فكلّ واحد منهما سترا لصاحبه عمّالا يحلّ كما جاء في الخبر: من تزوّج فقد أحرز دينه ، بل كل واحد ستر للآخر حال الجماع عن أعين الناس وأبصارهم ، يدلّ عليه : قول أبي زيد في قوله تعالى: " هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ " قال: للمواقعة. (١٨٣) فجعل اللباس كناية عن الزوج ، لكونه ستراً لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء، كما أن اللباس يمنع أن تبدو السوءة ، وعلى ذلك جعلت المرأة إزاراً، وسمي النكاح حصنا، لكونه حصيناً لذويه عن تعاطي القبيح. (١٨٤).

وصدق الله إذ يقول : {يَابَنِى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً} [الأعراف : ٢٦] ، وقد بين الرازي كثير من تلك الدلالات التي يفيدها لفظ اللباس فقال: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَدْ ذَكَرْنَا فِي تَشْبِيهِ الزَّوْجَيْنِ بِاللِّبَاسِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ يَعْتَنِقَانِ،

---

١٨٢ – ينظر : المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٤٨٦، وتأويل مشكل القرآن ص ١٠٧

١٨٣ – ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢ /٧٧ ، ٧٨

١٨٤ – ينظر : تفسير الراغب الأصفهاني ص٣٩٨ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، للنيسابوري١/ ٢٨٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٢/٣١٦، ٣١٧

فَيَضُمُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جِسْمَهُ إِلَى جِسْمِ صَاحِبِهِ حَتَّى يَصِيرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ كَالثَّوْبِ الَّذِي يَلْبَسُهُ، سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِبَاسًا، قَالَ الرَّبِيعُ: هُنَّ فِرَاشٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِحَافٌ لَهُنَّ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ، يُرِيدُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسْتُرُ صَاحِبَهُ عِنْدَ الْجِمَاعِ عَنْ أَبْصَارِ النَّاسِ وَثَانِيهَا: إِنَّمَا سُمِّيَ الزَّوْجَانِ لِبَاسًا لِيَسْتُرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ ، وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا لِبَاسًا لِلرَّجُلِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَخُصُّهَا بِنَفْسِهِ، كَمَا يَخُصُّ لِبَاسَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَرَاهَا أَهْلًا لِأَنْ يُلَاقِيَ كُلُّ بَدَنِهِ كُلَّ بَدَنِهَا كَمَا يَعْمَلُهُ فِي اللِّبَاسِ وَرَابِعُهَا: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ سَتْرُهُ بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْمَفَاسِدِ الَّتِي تَقَعُ فِي الْبَيْتِ، لَوْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ حَاضِرَةً، كَمَا يَسْتَتِرُ الْإِنْسَانُ بِلِبَاسِهِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمَضَارِّ (١٨٥).

ومن الإشارات اللطيفة في هذا المقام ما ذكره أبو حيان: " وَقَدَّمَ: هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ، عَلَى قَوْلِهِ: وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ، لِظُهُورِ احْتِيَاجِ الرَّجُلِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقِلَّةِ صَبْرِهِ عَنْهَا، وَالرَّجُلُ هُوَ الْبَادِئُ بِطَلَبِ ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَلَا تَكَادُ الْمَرْأَةُ تَطْلُبُ ذَلِكَ الْفِعْلَ ابْتِدَاءً ، لِغَلَبَةِ الْحَيَاءِ عَلَيْهِنَّ حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُنَّ تَسْتُرُ وَجْهَهَا عِنْدَ الْمُوَاقَعَةِ حَتَّى لَا تَنْظُرَ إِلَى زَوْجِهَا حَيَاءً وَقْتَ ذَلِكَ الْفِعْلِ. (١٨٦).

عاشراً : لفظ (اللمس)

من الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم بكثرة للدلالة على العلاقة الحميمية – الجماع – لفظ اللمس والمس ، فقد وردا في أكثر من موضع للدلالة على تلك العلاقة

قال تعالى :{ لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ } [البقرة : ٢٣٦]

---

١٨٥ – ينظر : مفاتيح الغيب ٢٧٠/٥

١٨٦ – ينظر : البحر المحيط ٥٥/٢

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً } [الأحزاب ٤٩]

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {٣} فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المجادلة : ٤]

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا } [النساء : ٤٣]

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[المائدة : ٦]

ولفظي (اللمس والمس) في أصل اللغة : المباشرة باليد ، أو بشيء من الجسد

يقول ابن فارس : (لَمَسَ) اللَّامُ وَالْمِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَطَلُّبِ شَيْءٍ وَمَسِيسِهِ أَيْضًا. تَقُولُ: تَلَمَّسْتُ الشَّيْءَ، إِذَا تَطَلَّبْتَهُ بِيَدِكَ. قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ: اللَّمْسُ أَصْلُهُ بِالْيَدِ لِيُعْرَفَ مَسُّ الشَّيْءِ.(١٨٧) قال الشاعر :

لَمَسْتُ بكَفّي كَفَّهُ أبْتَغي الغِنى ... ولم أدْرِ أنَّ الجُوْدَ من كَفِّه يُعْدي

---

١٨٧ – المقاييس ٥/ ٢١٠ ، ينظر : جمهرة اللغة ٢/ ٨٥٩ (ل م س)

فَلا أنا مِنْهُ ما أفادَ ذَوُو الغِنى ... أفَدْتُ، وأعْداني فأتْلَفْتُ ما عِنْدي (١٨٨)

ولفظ اللمس: قد دخله التطور الدلالي ، فحدث له تعميم في دلالته ، حيث كان أصل اللمس هو اللمس باليد ، إلا أنه " اتَّسَعَ فيه فأُوْقِعَ على غير اللَّمْسِ بالجارِحَةِ ، يَدُلُّ على هذا قولُه تعالى: (فَلَمَسُوْهُ بأيْدِيْهِم) [الأنعام : ٧] خَصَّصَه باليَدِ لِئلاّ يَلْتَبِسَ بالوجه الآخَرِ. ومن الاتِّساع قوله تعالى: (وأنّا لَمَسْنا السَّمَاءَ) [الجن : ٨] قال أبو عَليٍّ: أي عالجنا غَيْبَ السَّماءِ فَرُمْنا اسْتِراقَه لِنُلْقيه إلى الكَهَنَة، وليس من اللَّمْسِ بالجارِحَةِ في شَيْءٍ. وكذلك بيتُ الحَمَاسَة:

أُلامُ على تَبَكِّيْهِ ... وأُلْمُسُهُ فَلا أجِدُهْ٠٠٠ والمُلامَسَة: المُمَاسَّة. " (١٨٩)

ويؤكد ذلك ابن فارس فينقل عن ابن دريد قوله " اللّمس أصلُه باليد ليُعرَف مَسُّ الشّيء ثم كثُرَ ذلك حتَّى صار كلُّ طالب مُلتمِساً . ولَمَسْت إذا مَسِسْتَ. قالوا: وكلُّ مَاسٍّ لامس (١٩٠)

ثم استخدمه القرآن في الدلالة على الجماع ومقدماته تمشياً مع منهج الإسلام في التعبير عن المعاني التي يستقبح ذكرها بالألفاظ التي يستحسن ذكرها ؛ لأن بين اللمس والجماع علاقة قوية ، تتمثل في أن الجماع ملامسة ، إلا أنه ملامسة من نوع خاص ، بالإضافة إلى أن اللمس طريق الجماع ومقدمته ، فالجماع يكون بعد الملامسة

---

١٨٨ – ينظر : ديوان الحماسة ٢ / ٢٨٨ ، الأم ١/ ٣٠ ، مجمل اللغة ١/ ٧٩٤ ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم٩/ ٦١١٦ (ل م س)

١٨٩ – ينظر : العباب الزاخر للصاغاني ١/١٩١، ١٩٢

١٩٠ – ينظر : مقاييس اللغة ٥/ ٢١٠، جمهرة اللغة ١/ ١٣٥(ل م س)

فلفظ الملامسة من أقوى الألفاظ في الدلالة على الجماع بدون استهجان ، أو خدش للحياء ، بل فيه من الجمال والكمال واللطف ما يجعل الكل يستخدمه بدون حرج ، أو غضاضة ، بل لا يثير في النفس شيئا من الأمور التي قد يستحي الإنسان من ذكرها ،

ومن ثم فقد جمع القرآن بين الدلالة المراد توصيلها ، والألفاظ السهلة العذبة الجميلة التي بها تم توصيل الدلالة ، فجمع بين الحسنين : وضوح الدلالة ، بالإيماءات التهذيبية الخاصة بالمعنى

الجنسي ، أو العلاقة الحسية بين الرجل والمرأة في لفظ اللمس،و– بين – كمال الأسلوب والعبارة

أما السر في استخدام القرآن لهذا اللفظ بكثرة في القرآن ، فيرجع إلى قوة العلاقة كما قلت ، بالإضافة إلى أن المواطن التي استخدم القرآن فيها لفظ اللمس نجد معظمها تتكلم عن التشريع ، أي جانب الأحكام الفقهية ، وخصوصا ما يتعلق بالنكاح ، والطلاق ، والعدة ، وجانب التشريع يحتاج إلى لفظ يكون واضح الدلالة ؛ لبناء الحكم عليه ، ولفظ اللمس يشتمل على وضوح الدلالة ، ومن ثم حسن استخدامه في هذا الموطن

وقد اتفق أهل اللغة ، والمفسرون والفقهاء على أن دلالة لفظ اللمس تحتمل المعنيين

المعنى الأول : اللمس الحقيقي ، الذي هو مقدمات الجماع

المعنى الثاني : الجماع الحقيقي

كما اتفقوا على أن المراد بالمس في قول الله تبارك وتعالى : { لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً }[البقرة : ٢٣٦]

وقوله تعالى :{ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ }[الْبَقَرَةِ: ٢٣٧]

وقوله تعالى : { ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ } [الأحزاب : ٤٩]

وقوله تعالى : { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا }[المجادلة : ٣]

وقوله تعالى : { فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا } [المجادلة : ٤]

المراد بها في كل ما سبق الجماع وليس اللمس الحقيقي ٠

ويظهر لي –والله أعلم– : أن لفظتي (اللمس ، والمس) وإن كانا قد وردا في القرآن بمعان متعددة تختلف تبعا لحال السياق إلا أنها كلها ترجع إلى معنى : المخالطة ، والتلامس بين شيئين

كما يظهر والله أعلم أن القرآن الكريم استخدم لفظ : المس مع المرأة بمعنى الجماع ، ولم يستخدم للدلالة على غير الجماع من المقدمات بخلاف لفظ اللمس ، وهذا يظهر من خلال الآيات السابقة ، واتفاق الفقهاء على أن الدلالة المرادة منه الجماع

بالإضافة إلى أن الحق سبحانه وتعالى عندما استخدمه على لسان مريم في قوله تعالى : { قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } [مريم : ٢٠] جاء دالا على الجماع فهو وإن احتمل معنى نفي قضية اللمس عموما ، إلا أن المتبادر إلى الذهن : هو نفي الجماع ؛ لأن السياق يدل عليه حيث كان ذلك رداً منها على قول الملك أن الله سيرزقها بعيسى عليه السلام { قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } [مريم : ١٩] ، فقالت في دهشة وتعجب كيف يكون لي ولد ؟وأنا لم أتزوج أو أجامع ! حتى يكون لي ولد عن طريق الحلال ، وأيضاً لم أقع في طريق الحرام ، الذي هو البغاء والزنا ! فنفت طريقي الإنجاب .

الطريق الأول : الاتصال الحلال عن طريق الجماع ، واستخدمت لفظ المس للدلالة عليه { قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } [مريم : ١٩]

الطريق الثاني : الاتصال الحرام عن طريق الزنا ، واستخدمت فيه لفظ البغى :{ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} [مريم : ٢٠]

وهذا بخلاف لفظ اللمس الذي يحتمل الدلالتين ، اللمس الحقيقي : الذي هو عبارة عن التقاء بشرتين ، ويحتمل الجماع الحقيقي ، ولذلك اختلف الفقهاء في دلالة لفظ اللمس في

بقية المواضع ، فقالوا : الملامسة فيها قولان: أحدهما: الجماع ، وهو قول عليّ ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد. والثاني: الملامسة باليد والإفضاء ببعض الجسد ، وهو قول ابن مسعود ، وابن عمر ، وعبيدة ، والنخعي ، والشعبي ، وعطاء ، وابن سيرين ، وبه قال الشافعي. (١٩١)

جاء في المحرر الوجيز : " (لمستم) وهي في اللغة لفظة قد تقع للمس الذي هو الجماع ، وفي اللمس الذي هو جس اليد والقبلة ونحوه ، إذ في جميع ذلك لمس ، واختلف أهل العلم في موقعها هنا. (١٩٢)

وتعبير القرآن عن الجماع باللمس أمر جاء على لغة العرب ، فقد جاء في مسائل ابن الأزرق : " قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: { أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ } [النساء : ٤٣]

قال: جامعتم النساء. وهذيل تقول : اللمس باليد.

قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال: نعم . أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول:

يلمس الأحلس في منزله ... بيديه كاليهودي المقل (١٩٣)

وقال الأعشى:

ورادِعة بالطِّيب صَفْراء عِنْدَنَا، ... لجَسّ النَّدامَى فِي يَدِ الدِّرْع مَفْتَق (١٩٤)

---

١٩١ – ينظر : تفسير الماوردي ١/ ٤٩٠ ، المحرر الوجيز ٢/ ٥٨ ، البحر المحيط ٢/ ١٦٨ ، مفاتيح الغيب ١/ ١٤٥٦ ، تفسير الراغب الأصفهاني ٣/ ١٢٥٥، في ظلال القرآن ٢/ ٦٦٨ / ٦٦٩

١٩٢ – ينظر : ٢/ ٥٨

١٩٣ – الأحلس من الحلس: وهو ما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت السجاد وكريم المتاع.

جاء في تهذيب اللغة : فكُلّ شيءٍ من هذا البابِ– المس– فهو فِعْلُ الرجُلِ في بَابِ الغِشْيَانِ . (١٩٥)

بل من قمة الجمال والكمال أن القرآن استخدم في التعبير عن النكاح الحلال – في قصة مريم – لفظ المس الذي هو كناية ، واستخدم مع الاتصال غير الحلال لفظ البغي ، لأن الزنا مقام فجر وبغي لا تناسبه الكناية ، فمن أقدمت على الاتصال الحرام – الزنا – لم يعد فيها الحياء ؛ لأن المرأة ركب فيها الحياء فإذا زنت ذهب الحياء كله .

يقول الزمخشري : " جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال ، لأنه كناية عنه، كقوله تعالى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ والزنا ليس كذلك، إنما يقال فيه: فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك، وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب ". (١٩٦)

والتعبير بالمس : " زيادة في أدب الخطاب ، ولطف الكناية ، ليكون هذا الأدب نموذجاً للبشر حين يتخاطبون! وحين يعبر عما يكون بين الرجل والمرأة بقوله: (أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ) ، والتعبير بالملامسة أرق وأحشم وأرقى– والملامسة قد تكون مقدمة للفعل أو تعبيراً عنه– وعلى أية حال فهو أدب يضربه الله للناس ، في الحديث عن مثل هذه الشؤون. عند ما لا يكون هناك مقتض للتعبير المكشوف ٠٠٠هو إيحاء لطيف المدخل إلى النفوس ، وسبحان خالق النفوس. العليم بهذه النفوس! (١٩٧)

---

١٩٤ – ينظر : البيت في ديوانه الشطر الأول برواية : وَرَادِعَةٍ بِالمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا ص ٢ ، العين ٢/ ٣٦ ، غريب القرآن في شعر العرب ص ٢٧٠ ، لسان العرب ٨/ ١٢١ (ردع)

١٩٥ – ينظر : ٢٢٦/١٢،لسان العرب ٦/ ٢١٧، تاج العروس ٥٠٩/١ (م س س)

١٩٦ – ينظر : الكشاف ٣/ ١٠

١٩٧ – ينظر : في ظلال القرآن ٢/ ٦٦٨ / ٦٧١

الحادي عاشر : لفظ (الاستمتاع)

من الألفاظ التي تبين قيمة اللغة العربية ، وقيمة العلم بدلالاتها ، لفظ الاستمتاع ، فقد استخدمه القرآن الكريم للدلالة على معنى معين ، وهو النكاح الشرعي ، فحمله البعض – الشيعة – على معنى آخر يغلب على الظن – والله أعلم – أنه ليس جهلا ، بل بدافع آخر يظهر ذلك من خلال التفصيل الآتي :

قال تعالى : { وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء : ٢٤]

وقد ذهب المفسرون إلى أن الدلالة المقصودة من لفظ الاستمتاع هنا هي النكاح (١٩٨) ، ويكون المعنى المراد من الآية :

" : فَمَا نكحتموهُ مِنْهُنَّ على الشريطة الَّتِي جرَت فِي الْآيَة أَنه الْإِحْصَان، أَن تَبْتَغُوا بأموالكم محصنين أَي عاقدين التَّزْوِيج ، أَي فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ على عقد التَّزْوِيج الَّذِي جرى ذكره "

في حين ذهب الشيعة إلى أن المراد من لفظ الاستمتاع هنا ، هو نكاح المتعة ، محتجين بأن لفظ الاستمتاع يدل على ذلك (١٩٩)

والحقيقة أن اللغة العربية تمنع ذلك ، وتدحضه ، وقد أشار الزجاج إلى هذا الأمر فقال : " هذه آية قد غلط فيها قوم غلطاً عظيماً جداً ؛ لجهلهم باللغة ، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ) من المتعة التي قد أجمع أهل الفقه أنها حرام ، وإنما معنى قوله :

---

١٩٨ – تفسير الراغب الأصفهاني ٣/ ١١٨١ ، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١/ ٢٩٠ ، ، الكشاف ١/ ٤٩٧

١٩٩ – ينظر : تفسير البغوي ١/ ٥٩٥ ، تفسير القرطبي ٥/ ١٢٩

(فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ) أي فما نكحتموه ، على الشريطة التي جرت في الآية، آية الإحْصَانِ: (أنْ تَبْتَغُوا بأموالِكُم مُحْصِنِينَ)، أَي عاقدين التزويج الذي جرى ذكره. (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً). أي مهورهن ، فإن استمتع بالدخول بها أعطى المهر تَامًّا ، وإن استَمْتَع بعقد النكاح آتى نصف المهر. (٢٠٠)

والسياق يؤكد ذلك : لأن الكلام على الزواج الشرعي وليس على الزنا ، فقد نص الله سبحانه وتعالى على الإحصان – الزواج – ونهى عن السفاح – الزنا – فقال تعالى : { مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ } أَي عاقدين النِّكَاح الْحَلَال غير زناة " (٢٠١)

وأيضاً فإن دلالة لفظ الاستمتاع في القرآن تدحض ذلك وترده ، وقد ذكر الأزهري عدد من الآيات القرآنية التي ورد فيها صيغة (متع) ، وبين معناها ، ليؤكد عدم صحة من ذهب إلى أن المراد بالاستمتاع هو نكاح المتعة فقال :

" وَالْمَتَاع فِي اللُّغَة : كل مَا انتُفِع بِهِ، فَهُوَ مَتَاع. قَالَ: وَقَوله: {وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ} [الْبَقَرَة: ٢٣٦] لَيْسَ بِمَعْنى: زوّدوهن المُتَع ؛ إِنَّمَا مَعْنَاهُ : أعطوهن مَا يستمتعن بِهِ. وَكَذَلِكَ قَوْله: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} [البَقَرة: ٢٤١]٠٠٠وأمّا قَول الله جلَّ وعزَّ: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} [هُود: ٣] فَمَعْنَاه: أَي يبقيكم بَقَاء فِي عَافِيَة إِلَى وَقت وفاتكم ، وَلَا يستأصلكم بِالْعَذَاب، كَمَا استأصل أهل القُرَى الَّذين كفرُوا. ومَتَّع الله فلَانا وأمتعه إِذا أبقاه وأنسأه إِلَى أَن يَنْتَهِي شَبَابه. ٠٠٠٠

---

٢٠٠ – ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٣٨ ، تهذيب اللغــة ٢/ ١٧٤ ، ١٧٥(م ت ع)

٢٠١ – ينظر : تهذيب اللغة ٢/ ١٧٤ (م ت ع)

وَقَول الله عزَّ وجلَّ: {لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ}٠٠وَمعنى قَوْله: {فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ} [النُّور: ٢٩] أَي مَنْفَعَة لكم تقضون فِيهَا حَوَائِجكُمْ مستترين عَن أبصار النَّاس، فَذَلِك الْمَتَاع. ٠٠وَالدُّنْيَا مَتَاع الْغرُور يَقُول: إِنَّمَا الْعَيْش مَتَاع أَيَّام ثمَّ يَزُول " (٢٠٢)

وهو ما أكده الرازي بقوله :" الاسْتِمْتَاعُ فِي اللُّغَةِ : الِانْتِفَاعُ، وَكُلُّ مَا انْتُفِعَ بِهِ فَهُوَ مَتَاعٌ، يُقَالُ: اسْتَمْتَعَ الرَّجُلُ بِوَلَدِهِ، وَيُقَالُ فِيمَنْ مَاتَ فِي زَمَانِ شَبَابِهِ: لَمْ يَتَمَتَّعْ بِشَبَابِهِ. قَالَ تَعَالَى: { رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ } [الْأَنْعَامِ: ١٢٨] ، وَقَالَ تعالى : { أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها } [الْأَحْقَافِ: ٢٠] يَعْنِي تَعَجَّلْتُمُ الِانْتِفَاعَ بِهَا، وَقَالَ تعالى : { فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ } [التَّوْبَةِ: ٦٩] يَعْنِي بِحَظِّكُمْ وَنَصِيبِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا".(٢٠٣)

ومن ذلك " تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ، إِذَا أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَبَعْدَ تَمَامِهَا يُحْرِمُ بِالْحَجِّ ، فَإِنَّهُ بِالْفَرَاغِ مِنْ أَعْمَالِهَا يَحِلُّ لَهُ مَا كَانَ حَرُمَ عَلَيْهِ ، فَمِنْ ثَمَّ يُسَمَّى مُتَمَتِّعًا." (٢٠٤) من خلال ما سبق يظهر وبوضوح كيف أن الدلالة تؤثر تأثيراً كبيراً في الفهم٠

الثاني عشر : ألفاظ (الاعتزال – الاقتراب – الاتيان)

من الألفاظ التي لجأ إليها القرآن للدلالة على العلاقة الحميمية ، لفظ فاعتزلوهن ، ولا تقربوهن ، وأتوهن ، فقد استخدم القرآن الكريم في نفس الآية ثلاثة ألفاظ لتلك العلاقة ، لفظان للمنع ، ولفظ للفعل أو الإباحة قال تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى

---

٢٠٢ – ينظر : تهذيب اللغة ٢/ ١٧٥، لسان العرب ٨/ ٣٣٠(م ت ع)

٢٠٣ – ينظر : مفاتيح الغيب ١٠ / ٤٠

٢٠٤ – المصباح المنير ٢/ ٥٦٢ ، ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلـــوم ٩/ ٦٢١٦ (م ت ع)

فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة : ٢٢٢]

أولاً : لفظ فاعتزلوا : عزل في اللغة بمعنى : التنحية ، والابتعاد عن الشيء .

عَزَل الوالي: إذا نحّاه عن العمل وأبعده ، وعزله عن الحملة. (٢٠٥)

جاء في لسان العرب : " عَزَلَ الشيءَ يَعْزِلُه عَزْلًا وعَزَّلَهُ فاعْتَزَلَ وانْعَزَلَ وتَعَزَّلَ : نَحَّاه جانِباً فَتَنَحَّى ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ }[الشعراء : ٢١٢]

مَعْنَاهُ أَنَّهم لَمَّا رُمُوا بِالنُّجُومِ مُنِعوا مِنَ السَّمْع ، واعْتَزَلَ الشيءَ وتَعَزَّلَه ، وَيَتَعَدَّيَانِ بعَنْ : تَنَحَّى عَنْهُ ٠٠٠وتَعَازَلَ القومُ : انْعَزَلَ بَعْضُهم عَنْ بَعْض. والعُزْلةُ: الانْعِزال نفسُه، ٠٠٠واعْتَزَلْتُ القومَ أَي فارَقْتهم وتَنَحَّيت عَنْهُمْ " (٢٠٦)

ثانياً : لفظ ولا تقربوهن : لفظ القرب في اللغة مستخدم بمعنى الاقتراب من الشيء ، وكل ما يوصل إليه ، جاء في المعجم الوسيط : " (قرب) الشَّيْء قربا وقربانا دنا مِنْهُ وباشره ، وللتشديد فِي النَّهْي عَن الْأَمر يُقَال لَا تقربه ، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: {وَلَا تقربُوا الزِّنَى} [الإسراء : ٣٢] و {وَلَا تقربا هَذِه الشَّجَرَة} [البقرة : ٣٥] وَالرجل زَوجته جَامعهَا وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {وَلَا تقربوهن حَتَّى يطهرن} [البقرة : ٢٢٢] ، و(قرب) الشَّيْء قرَابَة وقربا وقربة وقربى ومقربة دنا فَهُوَ قريب ، وَيُقَال قرب مِنْهُ وَقرب إِلَيْهِ "(٢٠٧) ، ثم " صَارَ اسْمًا لِلْمُجَامَعَةِ ؛ لِغَلَبَةِ الِاسْتِعْمَالِ فِيهَا عُرْفًا وَشَرْعًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} [البقرة: ٢٢٢] ، وَأَصْلُهُ مُقَارَبَةُ الشَّيْءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء: ٣٢] ، وَقَالَ تعالى : {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ} [الأنعام: ١٥١] ، وَقَالَ تعالى : {وَلَا

---

٢٠٥ – ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٧/ ٤٥١٩(ع زل)

٢٠٦ – ينظر : ١١/ ٤٤٠ ، تاج العروس ٢٩/ ٤٦٤(ع زل)

٢٠٧ – ينظر : المعجم الوسيط ٢/ ٧٢٣(ق رب)

تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام: ١٥٢] (٢٠٨) قرب الرجُلُ المرْأةَ: جامعها ٠

ثالثاً : لفظ (فأتوهن) ، الإتيان : المجيء (٢٠٩)

وَفِي الْحَدِيثِ: خَيْرُ النِّساء المُواتِيةُ لِزَوْجها " (٢١٠) المُواتاةُ: حُسْنُ المُطاوعةِ والمُوافقةِ"(٢١١) فحَقيقَةُ الإتْيانِ : مَجِيءِ الشَّيْءِ وَإِصْحَابِهِ وَطَاعَتِهِ. (٢١٢)

وعند إضافة الإتيان إلى المرأة يراد به الجماع ، ولذلك عُرِّفَ الْعِنِّينِ بأنه : الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى إتْيَانِ الْمَرْأَةِ. (٢١٣)

والملاحظ هنا : أن القرآن الكريم استخدم ألفاظا هي من الحسن بمكان حيث دلت على الفعل دلالة مباشرة قوية ، ومع ذلك لم تجرح الشعور ، أو تخدش الحياء ، ولم توحي بظلال جنسية ، أو شهوانية ، بل العكس من ذلك تماما ، أما عن السبب في ذلك فيظهر والله أعلم ٠

أن الموقف موقف تشريعي ، بل موقف تشريعي خاص ، حيث الكلام عن المنع من الجماع ، ووجوب اعتزاله ، وعدم الاقتراب منه ، ومن ثم فيجب الابتعاد عن جميع الألفاظ التي تومئ بنواحي غريزية ، أو جنسية ، بل لابد من الابتعاد عن الألفاظ التي توحي بالقرب والتواد ، ولذلك اختار القرآن الكريم ألفاظا قوية وجافة ، لتناسب السياق ، ومن ثم

---

٢٠٨ – ينظر : طلبة الطلبة ص٦١ (ق رب)

٢٠٩ – ينظر : المفردات في غريب القرآن ١/ ٦٠ (أت ى)

٢١٠ –أخرجه البيهقي كتاب النكاح بَابُ اسْتِحْبَابِ التَّزَوُّجِ بِالْوَدُودِ الْوَلُودِ حديث رقم (١٣٤٧٨) ٧/ ١٣١

٢١١ – ينظر : لسان العرب ١٣/١٤ (أت ى)

٢١٢ – ينظر : المقاييس ١/ ٤٩(أت و)

٢١٣ – ينظر : طلبة الطلبة ص ٤٧ (ع ن ن)

نجد أن القرآن الكريم استخدم في المنع من الجماع لفظين لفظ : الاعتزال ، ثم أكد ذلك بعدم القرب ، ومن ثم ناسب بعد ذلك استخدام لفظ : الإتيان الذي يدل على الإباحة بعد الحظر ، وهذا إن دل فإنما يدل على مناسبة اللفظ للسياق ، وفي ذات الوقت البعد عن الاستهجان ٠

الفصل الثالث

ألفاظ العلاقة الحميمية في السنة النبوية

الإسلام هو الدين الخاتم الذي ختم الله سبحانه وتعالى به شرائعه للعالمين أجمعين ، ومن خصائص هذا التشريع شموله لجميع أقوال الإنسان وتصرفاته ، مع الله ، ومع الناس ، ومع أهله ، ومن ثم فقد تعرض القرآن الكريم لتلك الأحكام ، وتولى الرسول بصفته المبلغ ، والمربي والمعلم والمبين لأحكام الله سبحانه وتعالى ، بيان علاقة الرجل بالمرأة في جانب العلاقة الحميمية ، وبيان الحلال منها والحرام ، والحقوق ، والإتيان وكيفيته ، ومع أن المجال يحتاج إلى تفصيل وتوضيح ، إلا أن الرسول استطاع أن يبين ذلك على الوجه الأكمل والأجمل من ناحية الدلالة ، والمعنى ، ومن ناحية البعد عن المستهجن والمستقبح من الألفاظ التي قد يستحي الإنسان من ذكرها ، ومن تتبع أحاديث الرسول يجد ذلك واضحاً ، وضوح الشمس في الظهيرة ؛ لأن السنة من معين القرآن ، ومن ثم كانت السنة النبوية على نفس منهج القرآن في البعد عن الاستهجان ، واشتمالها على أرق الألفاظ ، وأنقاها ، وأحسنها ، ولأنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها ؛ ولأن الذي أدبه هو ربه سبحانه وتعالى ، فكان من الطبيعي أن تكون ألفاظه حتى في المواضع التي يُتَحرج منها ، كالعلاقة الحميمية ، ألفاظا جميلة مهذبة ، تفي بالغرض الدلالي وتوضحه ، مع المحافظة على الجمال والكمال والبعد عن الاستهجان ، أو الوصول لمرحلة الابتذال

وفيما يلي استعراض لبعض ألفاظ العلاقة الحميمية في أحاديث الرسول

أولاً : لفظ (البضع)

من ألفاظ العلاقة الحميمية التي ورت في أحاديث الرسول ، وتكررت في أكثر من حديث لفظ " البضع "

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله قال : " وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»(٢١٤)

كما روى البخاري في صحيحه " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُسْتَأْمَرُ النِّسَاءُ فِي أَبْضَاعِهِنَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَإِنَّ البِكْرَ تُسْتَأْمَرُ فَتَسْتَحْيِي فَتَسْكُتُ؟ قَالَ: «سُكَاتُهَا إِذْنُهَا» (٢١٥)

وبالرجوع إلى كتب اللغة للوقوف على دلالة لفظ البضع اتضح ما يلي :

أولاً : لفظ البضع في اللغة :

بَضَعَ اللحمَ يَبْضَعُه بَضْعاً وبَضَّعه تَبْضِيعاً: قَطَّعَهُ ، والبَضْعةُ: القِطعة مِنْهُ؛ تَقُولُ: أَعطيته بَضعة مِنَ اللَّحْمِ إِذا أَعطيته قِطعة مُجْتَمِعَةً ، هَذِهِ بِالْفَتْحِ ، وَفُلَانٌ بَضْعة مِنْ فُلَانٍ: يُذْهَب بِهِ إِلى الشبَه ، وَفِي الْحَدِيثِ: " فاطِمةُ بَضْعة منِّي " (٢١٦)

أَي إِنها جُزء مِنِّي كَمَا أَن القِطْعة مِنَ اللَّحْمِ، وَالْجَمْعُ بَضْع (٢١٧)

وقد ردها ابن فارس إلى أصول ثلاثة فقال : الْبَاءُ وَالضَّادُ وَالْعَيْنُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ الطَّائِفَةُ مِنَ الشَّيْءِ عُضْوًا أَوْ غَيْرَهُ ، وَالثَّانِي بُقْعَةٌ ، وَالثَّالِثُ أَنْ يُشْفَى شَيْءٌ بِكَلَامٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ الْخَلِيلُ: بَضَعَ الْإِنْسَانُ اللَّحْمَ يَبْضَعُهُ بَضْعًا وَ [بَضَّعَهُ] يُبَضِّعُهُ تَبْضِيعًا: إِذَا

---

٢١٤ – صحيح مسلم بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ٢/ ٦٧٩ ، حديث رقم (١٠٠٦)

٢١٥ – صحيح البخاري ٩/ ٢١ ، كتاب النكاح بَابُ لاَ يَجُوزُ نِكَاحُ المُكْرَهِ ، حديث رقم (٦٩٤٦)

٢١٦ – أخرجه البخاري بَابُ مَنَاقِبِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَنْقَبَةِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ بِنْتِ النَّبِيِّ حديث رقم (٣٧١٤) ٥/ ٢١

٢١٧ – ينظر : لسان العرب ٨/ ١٢ –١٤(ب ض ع)

جَعَلَهُ قِطَعًا. وَالْبَضْعَةُ الْقِطْعَةُ وَهِيَ الْهَبْرَةُ ، والْبَضْعَةُ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ مُجْتَمِعَةٌ، وَجَمْعُهَا بِضَعٌ (٢١٨)

ثانياً : استعمل لفظ البضع في اللغة للدلالة على مجموع أمور – بالإضافة إلى المعنى الأصلي الذي هو القطعة من الشيء – مجمل هذه الأمور ترد إلى قضية العلاقة الحميمية ، من هذه الأمور : ١– الجماع ، والمباشرة :

بَاضَعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ :إِذَا جَامَعَهَا ، والمُباضَعَةُ: المُجامَعَةُ، وَهِيَ البِضاعُ ، والمُباضعة : المُباشرة

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «أَنَّهُ أمَر بِلاَلاً فَقَالَ: أَلَا مَن أَصَابَ حُبْلَى فَلَا يَقْرَبَنَّها فَإِنَّ البُضْعَ يَزيد فِي السَّمع والبَصر» (٢١٩) أَيِ الْجِمَاعَ...(٢٢٠)

٢– التزويج والنكاح :

يُقَالُ: فُلَانٌ مَالِكُ بُضْعِهَا ، أَيْ: تَزْوِيجِهَا. قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا لَيْتَ نَاكِحَهَا وَمَالِكَ بُضْعِهَا وَبَنِي أَبِيهِمْ كُلَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا(٢٢١)

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْبُضْعُ النِّكَاحُ، وَالْبِضَاعُ الْجِمَاعُ. (٢٢٢)

وابْتَضَعَ فُلَانٌ وبَضَعَ إِذا تَزَوَّجَ ، وفِي إِبْضَاعِهِنَّ بِالْكَسْرِ أَيْ فِي إِنْكَاحِهِنَّ مَصْدَرُ أَبْضَعْت الْمَرْأَةَ إِذَا زَوَّجْتَهَا مِثْلَ نَكَحْتُ (٢٢٣)

---

٢١٨ – ينظر : مقاييس اللغة ١/ ٢٥٤ : ٢٥٦ ، العين ١/ ٢٨٥ (بَ ضَ عَ)

٢١٩ – ينظر : غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٧٤

٢٢٠ – ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ١٣٣

٢٢١ – ينظر : مقاييس اللغة ١/ ٢٥٥(بَ ضَ عَ)

٢٢٢ – ينظر : مقاييس اللغة ١/ ٢٥٦ (بَ ضَ عَ)

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «وَلَهُ خصَّنني رَبِّي مِنْ كُلِّ بُضْع» أَيْ مِنْ كُلِّ نِكَاحٍ، وَالْهَاءُ فِي لَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وكَانَ تَزَوَّجَهَا بِكْرًا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ (٢٢٤)

٣- مكان الجماع

يُقَالُ : ملَك فُلَانٌ بُضْع فُلَانَةٍ إِذا ملَكَ عُقْدة نِكَاحِهَا ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ مَوْضِعِ الغِشْيان ؛ وَالِاسْمُ البُضْع وَجَمْعُهُ بُضوع ، ومن ذلك " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِبَرِيرَةَ: «اذْهَبِي فَقَدْ عُتِقَ مَعَكِ بَضْعُكِ» (٢٢٥)

جاء في المغرب:" وَقَدْ كُنِيَ بِهَا عَنْ الْفَرْجِ فِي قَوْلِهِمْ مَلَكَ فُلَانٌ بُضْعَ فُلَانَةَ إذَا عَقَدَ بِهَا (وَمِنْهَا) "تُسْتَأْمَرُ النِّسَاءُ فِي أَبْضَاعِهِنَّ" عَلَى لَفْظِ الْجَمْعِ مِثْلُ قُفْلٌ وَأَقْفَالٌ " هَذَا هُوَ الْمُتَدَاوَلُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ " (٢٢٦)

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ " عَتَق بُضْعُكِ فَاخْتَارِي" أَيْ صَارَ فَرْجُك بالعِتْق حُراً فَاخْتَارِي الثَّبَاتَ عَلَى زَوْجِك أَوْ مُفَارَقَته.(٢٢٧)

يُقَال ملك فلَان بضع فُلَانَة إِذا ملك عقدَة نِكَاحهَا ، وَهُوَ كِنَايَة عَن مَوضِع الغشيان ، والمباضعة المعاشرة وَالِاسْم الْبضْع (٢٢٨)

---

٢٢٣ – ينظر : تهذيب اللغة ١/ ٣٠٩ ، المغرب في ترتيب المعرب ص ٤٥ (ب ض ع)

٢٢٤ – ينظر : غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري ٢/ ٤٥٨

٢٢٥ – سنن الدار قطني باب المهر ٤/ ٤٤٤ ، حديث رقم (٣٧٦٠ –)
حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م

٢٢٦ – ينظر : ص ٤٥ (ب ض ع)

٢٢٧ – ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ١٣٣

٤- مهر المرأة ، والولي الذي يملك البضع ، بل يدل على الطلاق، فقد جاء في لسان العرب : " والبُضْعُ: مَهْرُ المرأَة. والبُضْع: الطَّلَاقُ. والبُضْع: مِلْك الوَلِيّ للمرأَة ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ :

وَفِي كَعْبٍ وإِخْوتِها، كِلابٍ ... سَوامي الطَّرْفِ غالِيةُ البُضوعِ (٢٢٩)

سَوامي الطَّرْفِ أَي مُتأَبِّياتٌ مُعْتزَّاتٌ. وَقَوْلُهُ: غالِيةُ الْبُضُوعِ ؛ كَنَّى بِذَلِكَ عَنِ المُهور اللَّوَاتِي يُوصَل بِهَا إِليهن؛ وَقَالَ آخَرُ:

عَلاه بضَرْبةٍ بَعَثَتْ بِلَيْلٍ ... نوائحَه، وأَرْخَصَتِ البُضُوعا (٢٣٠)

بل يطلق على : الزوج الكفء ، فقد جاء في النهاية في غريب الحديث والأثر :

" وَمِنْهُ حَدِيثُ خَدِيجَةَ «لمَّا تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ دَخَلَ عَلَيْهَا عَمْرو بْنُ أَسَدٍ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: هَذَا البُضْعُ الَّذِي لَا يُقْرَع أنفُه» يُرِيدُ هَذَا الْكُفء الَّذِي لَا يُرَدّ نكاحُه، وَأَصْلُهُ فِي الْإِبِلِ أَنَّ الْفَحْلَ الهَجين إِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْرب كَرَائِمَ الْإِبِلِ قَرعُوا أَنْفَه بِعَصاً أَوْ غَيْرَهَا ليرْتَدَّ عَنْهَا ويَتْرُكَها. (٢٣١)

وقد أشار الأزهري إلى تنوع دلالة لفظ البضع واختلاف الناس في ذلك فقال :

---

٢٢٨ – ينظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم لابن حميد الأزدي الميورقي ١/ ٥٤٥

٢٢٩ – ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٤١٨ (ب ض ع)

٢٣٠ – ينظر : ٨/ ١٤ ، تاج العروس ٢٠/ ٣٣٢ (ب ض ع)

٢٣١ – ينظر : ١/ ١٣٣

اخْتلف النَّاس فِي الْبضْع فَقَالَ قوم هُوَ الْفرج ، وَقَالَ قوم هُوَ الْجِمَاع٠٠٠ قَالَ وَقَالَ الْأَصْمَعِي ملك فلَان بضع فُلَانَة إِذا ملك عقدَة نِكَاحهَا ، وَهُوَ كِنَايَة عَن مَوضِع الغشيان، والمباضعة الْمُبَاشرَة ٠(٢٣٢)

من خلال ما سبق يتبين وبوضوح استعمال لفظ (البضع) في الدلالة على مجموع أمور – كالفرج ، والجماع ، والمباشرة ، وعقد النكاح ، والولي الذي يملك العقد – ومجمل هذه الأمور ترد إلى قضية العلاقة الحميمية ، وقد تكون دلالة اللفظ على مجموع هذه الأمور من أسباب سموه ، وبعده عن الاستهجان ؛ لأن من أسباب الاستهجان تخصيص لفظ بشيء معين في تلك العلاقة يكون صريحا فيه ، بحيث لا يحتمل غيره ، ويكثر استعماله فيه ولذلك لما افتقد لفظ البضع هذا التخصيص بَعُد عن القبح ، وَحَسُن التعبير به ، مع كثرة وروده ، بل كان من أحسن الكنايات ، وأفضلها كما قال ابن فارس : " فَأَمَّا الْمُبَاضَعَةُ الَّتِي هِيَ الْمُبَاشَرَةُ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهَا مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْبُضْعِ ، وَهُوَ مِنْ حَسَنِ الْكِنَايَاتِ." (٢٣٣)

ثانياً : لفظ (شد المئزر)

هو من الألفاظ الحسنة التي استخدمها الرسول □ للكناية عن العلاقة الحميمية.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله □ كان : " إذا دخل العشر الأواخر شد المئزرَ وأيقظ نساءه " .(٢٣٤)

والمئزر في اللغة : من أَزَرَ بِهِ الشيءُ : أَحاطَ ؛ عَنِ ابْنِ الأَعرابي ، والإِزار: المِلْحَفَة ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ ؛ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ؛ قَالَ أَبو ذُؤَيْبٍ : (الطويل)

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِ القَتيلِ وبَزِّه وقَدْ عَلِقَتْ دَمَ القَتِيل إِزارُها(٢٣٥)

---

٢٣٢ – تهذيب اللغة ١/ ٣٠٩ (ب ض ع) ، وينظر : غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٧٥

٢٣٣ – ينظر : مقاييس اللغة ١/ ٢٥٥ (بَ ضَ عَ)

٢٣٤ – مسند الإمام أحمد ، مسند علي بن أبي طالب حديث رقم (١١٠٥) ٢/ ٧٠

وَالْجَمْعُ آزِرَةٌ مِثْلُ حِمار وأَحْمِرة ، وأُزُر مِثْلُ حِمَارٍ وحُمُر، حِجَازِيَّةٌ ، وأُزْر: تَمِيمِيَّةٌ عَلَى مَا يُقارب الاطِّراد فِي هَذَا النَّحْوِ ، والإِزارَةُ : الإِزار .(٢٣٦)

ومن معاني الإزار : القوة والشدة ، جاء في تاج العروس : والأَزْرُ: القُوَّةُ والشِّدَّةُ ، وقيل: الأَزْرُ: الضَّعْفُ، ضِدٌّ، والأَزْرُ: التَّقْوِيَةُ والإِزارُ ، بالكسرِ، معروفٌ، وَهُوَ المِلْحَفَةُ ، وفَسَّره بعضُ أَهلِ الغَرِيب : بِمَا يسْتُرُ أَسفلَ البَدنِ، والرِّداءُ: مَا يَستُر بِهِ أَعلاه، وكِلَاهُمَا غيرُ مَخِيط، وَقيل: الإِزار: مَا تحتَ العاتِقِ فِي وَسَطِه الأَسفل، والرِّداءُ: مَا على العاتِقِ والظَّهْرِ، وَقيل: الإِزار: مَا يَستُر أَسفلَ البدنِ وَلَا يكونُ مَخِيطاً، والكلُّ صحيحٌ " . (٢٣٧)

من خلال ما سبق يتبين :أن لفظ المئزر يستخدم في الدلالة على الثوب الذي يستر عورة الإنسان ، مأخوذ من أزر التي هي الإحاطة من كونه يحيط ببدن الإنسان وعورته ، كما أنه يستخدم في الدلالة على الشدة والقوة .

أما عن السبب الذي من أجله آثر الرسول عدم التصريح بتلك العلاقة ، وجعله يلجأ إلى الكناية عنها ، فيظهر فيما يلي :

أولاً : تمشيا مع مذهبه في بعده عن الألفاظ التي يستهجن أو يستقبح ذكرها

ثانياً : لفظ شد المئزر يدل على المعنى المراد إيصاله ، ومن ثم ففيه الكفاية لبيان المقصود ، فلا مبرر إلى اللجوء للتصريح التي تعافه النفس وتستقبحه

---

٢٣٥ – ينظر البيت في : جمهرة اللغة ٢/ ٢١٧ (ر ز ي) مقاييس اللغة ٤/ ١٢٧ (ع ل ق)، لسان العرب ١٦/٤ (أزر) ، تاج العروس ١٠ / ٤٣ (أ ز ر)

٢٣٦ – ينظر : لسان العرب ١٦/٤ (أزر)

٢٣٧ – ينظر : ٤٢/١٠ ، ٤٣ (أزر) ، غريب الحديث ، ابن الجوزي ١/ ٢٢، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٤/ ٥٥٦

ثالثاً : السياق يستدعي الكناية ، ولا يستدعي التصريح ؛ لأن السياق في الحديث عن الاجتهاد في العبادة ، واغتنام هذا الوقت ؛ لأنه أفضل أوقات العبادة ، فلا يناسب معه التصريح بتلك العلاقة ، حتى لا تثار في النفس أي معان أخرى لا تناسب الاجتهاد في العبادة

رابعاً : بما أن شد المئزر يدل على القوة والشدة ، فإن السياق يتطلب هذه الدلالة أيضاً ؛ لأن الاجتهاد في العبادة يتطلب الشدة والقوة سواء في البعد عن الجماع ودواعيه ، والبعد عن كل زخارف الحياة وملهياتها ، فالاجتهاد في العبادة يحتاج إلى القوة ، واللفظ يدل على هذا المعنى أيضاً ، فالدلالتان مقصودتان ومن ثم وجدنا بعض العلماء يقول أن الدلالتين مرادتان معا ، وهو من جوامع كلمه ، ولو استخدم لفظ العلاقة الصريح لما أفاد كلا الأمرين

يقول أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ : شَدُّ الْمِئْزَرِ يَتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا: هِجْرَانُ النِّسَاءِ، وَتَرْكُ غِشْيَانِهِنَّ.

وَالآخَرُ: الْجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ فِي الْعَمَلِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : يُقَالُ : شَدَدْتُ لِهَذَا الأَمْرِ مِئْزَرِي ، أَيْ: تَشَمَّرْتُ لَهُ، وَعَلَى الْأَوَّلِ كَنَّى بِذِكْرِ الإِزَارِ عَنِ الاعْتِزَالِ عَنِ النِّسَاءِ، وَيُكَنَّى عَنِ الأَهْلِ بِالإِزَارِ وَاللِّبَاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ} [الْبَقَرَة: ١٨٧].

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ: فِدًى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي. أَيْ: أَهْلِي. (٢٣٨)

وهذا من لطيف الكنايات كما قال ابن قتيبة : فقد جاء في كتاب مطالع الأنوار المئزر والإزار: ما ائتزر به الإنسان من أسفله، وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه كنايةَ عن البعد عن النساء، كما قال: الأخطل

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُم دُونَ النِّسَاءِ ولَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ (٢٣٩)

---

٢٣٨ – ينظر : شرح السنة ، البغوي ٦/ ٣٨٩

ويدل على صحة هذا التأويل ما وقع لبعض الرواة في كتاب ليلة القدر: "اعْتَزَلَ فِرَاشَهُ وَشَدَّ مِئْزَرَهُ". قال القابسي: كذا في كتب بعض أصحابنا. قال ابن قتيبة: وهذا من لطيف الكناية عن اعتزال النساء.

والتأويل الثاني: أنه كناية عن الجدِّ في العمل، والعبادة ، والتشمير لذلك، والتأهب له ، فجعل شدّ الْإِزَار كِنَايَة عَن الاعتزال كَمَا يُجعل حلّه كِنَايَة عَن ضد ذَلِك (٢٤٠)

وقد أشار ابن منظور إلى ذلك فقال : " هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اجْتِنَابِ النِّسَاءِ، أَو عَنِ الجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ ، أَو عَنْهُمَا مَعًا." (٢٤١) وختام ذلك ما قاله الثعالبي : " كانت الشعراء تصف المآزر وتكني بها عما وراءها تنزيهاً لألفاظها عما يستبشع ذكره " (٢٤٢)

ثالثاً : لفظ (شعبها الأربع)

وهو من الألفاظ التي استعملها الرسول للتعبير عن العلاقة التي توجب الغسل – الجماع – ،فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ قَالَ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا، فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ» (٢٤٣)

وبالرجوع إلى كتب اللغة اتضح أن لفظ الشعب يطلق في اللغة على : الطائفة ، والفرقة ، والقطعة من شيئين فأكثر ، ويستخدم كناية للدلالة على الجماع ، فالشعب جمع شعبة وهي القطعة من الشيء ، وانشعبَ الطريقُ ، إذا تفرَّق ، وانشعَبَ النَّهر، وانشعبت أغصانُ

---

٢٣٩ – ينظر : البيت في ديوانه ص ١١٠.

٢٤٠ – ينظر : ١/ ٢٤٨ ، الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ١/ ٤٠

٢٤١ – ينظر : لسان العرب ٣/ ٢٣٥ (ش دد)

٢٤٢ – ينظر : رسائل الثعالبي ص٥٩

٢٤٣ – صحيح مسلم بَابُ نَسْخِ الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ وَوُجُوبِ الْغُسْلِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ ١/ ٢٧١ ، حديث رقم (٣٤٨)

الشَّجَرَة : وَيُقَال هَذِه عَصاً فِي رَأسهَا شُعبتانِ ، وأصل الشعبة الطَّائِفَة من كل شَيْء والقطعة مِنْهُ .(٢٤٤)

قال الأزهري : شُعَبها الْأَرْبَع: يداها ورجلاها، كُنِي بِهِ عَن الْإِيلَاج. وقيل : شُعَبها الْأَرْبَع: رجلاها وشُفْرا فرجهَا ، كنَّى بذلك عَن تغييبه الْحَشَفَة فِي فرجهَا ، وَقَالَ اللَّيْث : شُعَب الْجبَال رؤوسها. وأقطارُ الْفرس: شُعَبُه، وَهِي عُنقُه ومَنْسِجهُ وَمَا أشرف مِنْهُ. (٢٤٥)

وجاء في اللسان : الشُّعْبةُ : ما بين القَرْنَيْنِ ، لتَفْريقِها بَيْنَهُمَا ؛ والشَّعَبُ : تَباعُدُ مَا بَيْنَهُمَا ؛ وَقَدْ شَعِبَ شَعَباً، وَهُوَ أَشْعَبُ. وظَبْيٌ أَشْعَبُ : بَيِّنُ الشَّعَب، إِذا تَفَرَّقَ قَرْناه ، فتَبايَنَا بينُونةً شَدِيدَةً ، وَكَانَ مَا بَيْنَ قَرْنَيْه بَعِيدًا جِدًّا ، وَالْجَمْعُ شُعْبٌ ...وتَيْسٌ أَشْعَبُ إِذا انْكَسَرَ قَرْنُه ، وعَنْزٌ شَعْبَاءُ ، والشَّعَبُ أَيضاً : بُعْدُ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ ، والشاعِبانِ: المَنْكِبانِ، لتَباعُدِهِما، يَمانِيَةٌ ، شُعَبُها الأَرْبعُ: يَداها ورِجْلاها؛ وَقِيلَ: رِجْلاها وشُفْرا فَرْجِها؛ كَنى بِذَلِكَ عَنْ تَغْيِيبِه الحَشَفَة فِي فَرْجِها. (٢٤٦)

وهذا المعنى – وهو أنه كناية عن الإدخال والجماع – هو ما قاله معظم أهل اللغة (٢٤٧) وقِيلَ الْمُرَادُ هُنَا يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا وَقِيلَ رِجْلَاهَا وَفَخِذَاهَا وَقِيلَ سَاقَاهَا وَفَخِذَاهَا وَقِيلَ فَخِذَاهَا وَإِسْكَتَاهَا وَقِيلَ : فَخِذَاهَا وَشَفْرَاهَا وَقِيلَ نَوَاحِي فَرْجِهَا الْأَرْبَعُ (٢٤٨)

من خلال ما سبق يتبين أن الرسول استطاع أن يوصل المعنى المراد باستخدام لفظ يدل على المعنى دون أن يجرح الشعور، أو يوقع في الحرج

---

٢٤٤ – ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم١/ ٥٥٦

٢٤٥ – ينظر : تهذيب اللغة ١/ ٢٨٢(ش ع ب)

٢٤٦ – ينظر : ١/ ٥٠٢ (ش ع ب)

٢٤٧ – ينظر : المغرب ص ٢٥١ ، الفائق في غريب الحديث والأثر٢/٢٥٠، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ١/ ٣٢ (ش ع ب)

٢٤٨ – ينظر : فتح الباري ١/ ٣٩٥

وهو ما أشار إليه العيني فقال : " والأقرب أن يكون المراد اليدين والرجلين ، أو الرجلين والفخذين، ويكون الجماع مكنى عنه بذلك، ويكتفي بما ذكر عن التصريح ، وإنما رجح هذا ؛ لأنه أقرب إلى الحقيقة في الجلوس بينهما، وأما إذا حُمل على نواحي

الفرج فلا جلوس بينهما، وقد يكتفي بالكناية عن التصريح لا سيما في أمثال هذا المكان الذي يستحى من التصريح بذكرها(٢٤٩) ، وقد بين الفيومي وجه الكناية بين التعبير بالجلوس بين الشعب وبين الجماع فقال : وَفِي الْحَدِيثِ إذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ يَعْنِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِأَغْصَانِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ الْجِمَاعِ ، لِأَنَّ الْقُعُودَ كَذَلِكَ مَظِنَّةُ الْجِمَاعِ فَكَنَّى بِهَا عَنْ الْجِمَاعِ ٠(٢٥٠)

رابعاً : لفظ (ذوق العسيلة)

من الألفاظ التي استخدمها الرسول □ لبيان أحكام العلاقة الحميمية لفظ ذوق العسيلة فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ القُرَظِيِّ النَّبِيَّ □ ، فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فَأَبَتَّ طَلاَقِي، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ ، فَقَالَ : " أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ " ، وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ □ (٢٥١)

وحينما نرد هذا اللفظ إلى اللغة العربية للوقوف على دلالته نجد أن العسل يطلق على لعاب النحل ، وتطلق العرب لفظ العسل على ما كان حلواً ، فيسمون صَمْغ العُرْفُط عَسَلاً ؛ لحلاوته ، ويسمون صَقْر الرُّطَب وَهُوَ مَا سَالَ من سُلاَفته عَسَلاً.

---

٢٤٩ – ينظر : شرح سنن أبي داود لبدر الدين العينى ١/ ٤٨٩

٢٥٠ – ينظر : المصباح المنير ١/ ٣١٣ (ش ع ب)

٢٥١ – أخرجه البخاري كتاب الشهادات باب شَهَادَةِ المُخْتَبِي حديث رقم (٢٦٣٩) ٣/ ١٦٨

كما تطلق العرب على الْحَدِيث الحُلْو: معسول ، فقَالُوا لكل مَا استحلَوْا: عَسَلٌ ومعسول، على أَنه يُسْتحلى استحلاء العَسَل. (٢٥٢)

ومن ذلك قوله (إِذا أَرَادَ الله بِعَبْد خيرا عَسَله) (٢٥٣)أَي طيَّب ثناءه. فمعنى قَوْله: عَسَله أَي جعل لَهُ من الْعَمَل الصَّالح ثَنَاء طيّباً كالعَسَل؛ كَمَا يُعْسَل الطَّعَام إِذا جُعل فِيهِ العَسَل. يُقَال: عَسَلت الطعامَ والسَّوِيقَ أعْسِله وأعسُله إِذا جعلت فِيهِ عَسَلاً وطيَّبْته وحلَّيته. وَيُقَال أَيْضا: عَسَلت الرجلَ إِذا جعلت أُدْمه العَسَل. وعسَّلت الْقَوْم بِالتَّشْدِيدِ إِذا زوّدتهم العَسَل. وَجَارِيَة معسولة الْكَلَام إِذا كَانَت حُلْوة الْمنطق مليحة اللَّفْظ طيّبة النَّغْمة. (٢٥٤)

كما يستخدم لفظ العسلة للدلالة على الجماع

يقول الجوهري : " وفي الجماع العُسَيْلَةُ، شُبِّهت تلك اللذّة بالعَسَلِ، وصُغِّرت بالهاء، لأنَّ الغالب على العَسَلِ التأنيث. ويقال إنما أنث لأنه أريد به العسلة، وهى القطعة منه، كما يقال للقطعة من الذهب ذهبة. (٢٥٥)

وهو ما ذهب إليه ابن دريد بقوله : " كِنَايَة عَن النّكاح، وأُنِّث الْعَسَل على معنى اللُّعقة.. (٢٥٦)

وأكد ذلك ابن فارس بقوله : " وفي الجماع العسيلة، تشبيهاً لها بالعسل. " (٢٥٧)

---

٢٥٢ – ينظر : تهذيب اللغة ٢/ ٥٧، ٥٨(ع س ل)

٢٥٣ – أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١٧٧٨٤)٢٩/ ٣٢٣

٢٥٤ – ينظر : تهذيب اللغة ٢/ ٥٨ (ع س ل)

٢٥٥ – ينظر : الصحاح ٥/ ١٧٦٤(ع س ل)

٢٥٦ – ينظر : جمهرة اللغة ٣/ ٨٤٢(ع س ل)

٢٥٧ – ينظر : مجمل اللغة ٦٦٧/١(ع س ل)

من خلال ما سبق يتبين أن العرب تستخدم لفظ العسل على الشيء الحلو سواء أكان مأكولا أو غير مأكول بل يطلق على الكلام الحلو ، لكن ما الحكمة في استخدام الرسول لهذا اللفظ في هذا الموطن

أولاً : البعد عن اللفظ المستقبح الذي يستهجن ذكره ؛ لأن التصريح بمثل هذه الألفاظ يوقع في الحرج ، والاستهجان ، ومن ثم وجدنا الصحابي خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ يستقبح ويستهجن التصريح من المرأة بهذا اللفظ ، وقال : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ

ثانياً : الدلالة المرادة هنا تستدعي لفظ العسيلة ، ولا تستدعي غيره من بقية الألفاظ التي تدل على الجماع ، لأن الدلالة المراد توصيلها هنا ليست الجماع ، فالجماع قد وجد بالفعل ، وإنما الدلالة المرادة هنا هي : لذة الجماع ، أو شهوة الجماع ، أي لابد أن يكون الجماع عن شهوة ، ومن ثم فلفظ العسيلة هو الوحيد الذي يدل على هذا المعنى ، وليس هناك لفظ آخر يؤدي تلك الدلالة

فالعسيله كنايه عن لذاذة الجماع ، فكل من جامع حتى يلتقي الختانان فقد ذاق وأذاق العسيله٠٠٠ فجعل البضعة منه ومنها في حلاوته ولذاذته إذا التقيا كالعسل.(٢٥٨)

وهو ما نبه عليه الإمام الشافعي ورجحه الأزهري بقوله " قلت: وَالصَّوَاب مَا قَالَه الشَّافِعِي؛ لِأَن العُسَيلة فِي هَذَا الحَدِيث كِنَايَة عَن حلاوة الْجِمَاع الَّذِي يكون بتغييب الحَشَفَة فِي فرج الْمَرْأَة، وَلَا يكون ذَوَاق العُسَيلتين مَعًا إِلَّا بالتغييب وَإِن لم يُنزِلا، وَلذَلِك اشْترط عُسَيلتهما".(٢٥٩)

---

٢٥٨ – ينظر : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ١/ ٢١٦

٢٥٩ – ينظر : تهذيب اللغة ٢/ ٥٧(ع س ل) ، ويراجع الأم للشافعي ٥/ ٢٦٥

فالعسيلة : كِنَايَة عَن بُلُوغ الشَّهْوَة فِي الْجِمَاع بالإنزال شبه ذَلِك بالعسل وحلاوته (٢٦٠) وأختم هنا بما قاله الثعالبي في معرض تعليقه على الحديث السابق : " فانظر الى لطافة هذا الكلام ، وكثرة ، رونقه وحسن كنايته عن العورة والنكاح ، بالعسيلة التي هي تصغير العسل". (٢٦١)

خامساً : لفظ (الختانان)

من الألفاظ التي استخدمها الرسول للدلالة على تلك العلاقة لفظ : التقاء الختانان

فقد روى ابن ماجة في سننه عن الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ – – قَالَتْ : إِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، فَعَلْتُهُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ، فَاغْتَسَلْنَا " (٢٦٢)

وَقد ذهب أهل اللغة إلى أن الْخِتَانُ : مَوْضِعُ الْقَطْعِ مِنْ ذَكَرِ الْغُلامِ، وَنَوَاةِ الْجَارِيَةِ ، وَقِيلَ : سُمِّيَتِ الْمُصَاهَرَةُ مُخَاتَنَةً لالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ. (٢٦٣)

والدلالة المرادة من الحديث هي الجماع يقول الأزهري : " وَمعنى التقائهما: غُيُوبُ حَشَفَةِ فَرْجِ الرَّجُل فِي فَرْجِ الْمَرْأة، حَتَّى يصير خِتَانُهُ بحِذَاء خِتَانِها.٠٠٠وَلَيْسَ معنى التقاء

---

٢٦٠ – ينظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي ١/ ٥٠٤، المُعْلم بفوائد مسلمى للمازري المالكي ٢/ ١٥٤

٢٦١ – ينظر : رسائل الثعالبي ص٦٠

٢٦٢ – سنن ابن ماجة بَابُ مَا جَاءَ فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ إِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ ، حديث رقم (٦٠٨) ١/ ٣٨٣

٢٦٣ – ينظر : الصحاح ٥/ ٢١٠٧ ، شمس العلوم٣ / ١٧١٤ ، مختار الصحاح ص ٨٨ ، تاج العروس ٣٤/ ٤٧٩ (خ ت ن) ، شرح السنة للبغوي ٢/ ٦

الْخِتَانَيْنِ أَن يُمَاسَّ خِتَانُهُ خِتَانَهَا" (٢٦٤) وهذا التعبير كناية لطيفه عن الإيلاج ألا ترى أن الرجل لو الصق ختانه بختان المرأة بلا إيلاج لم يجب عليهما الغسل(٢٦٥)

وإذا كانت الدلالة المرادة من الحديث الجماع فلماذا عدل الرسول عن التصريح ولجأ لاستخدام اللفظ الكنائي ؟ سمو منه في التعبير ، واختيار الكلمات التي لا يستهجن ذكرها ، ولا يستقبح سماعها ، بل ولا يستحى من قولها ، ومن ثم عبر بآلة ، ومكان الجماع للدلالة على الفعل تحاشياً للتصريح

وهذا يبين قيمة اللفظ في التعبير عن المعنى المراد ، وعدم جرح الشعور ، ونلحظ ذلك من خلال مقارنة بسيطة بين تعبيره هنا بلفظ التقاء الختانان ، وتعبيره في موطن آخر بلفظ حتى تذوقي عسيلته ، فقد أراد الرسول أن يبين أن مجرد الجماع يوجب الغسل فعبر بألطف تعبير وهو التقاء الختانان ، أي بآلة ومكان الجماع ، ليبين أن مجرد الالتقاء يوجب الغسل ، وهذا بعكس ما في قوله : حتى تذوقي عسيلته حيث لا يكتفى في تحليل الزوجة لزوجها بمجرد الالتقاء بل لابد من جماع الشهوة ، وهذا يبين دور السياق في الدلالة ، واختيار اللفظ المناسب للمعنى المراد.

قد يقول قائل ما الفائدة من هذه الألفاظ ما دام التلفظ بها مستهجن ومستقبح ، ويجرح الشعور ، والحقيقة أن هذه الألفاظ ليست عديمة الفائدة ، بل فيها فوائد كثيرة ومتعددة ، فأهل اللغة إنما وضعوها للتلفظ بها ، وليس لهجرها ، والتلفظ بها ليس مستهجنا ، إنما المستهجن هو التصريح بها في الملأ ، وليس التلفظ بها في مكانها ووقتها ،

وفي ذلك يقول الجاحظ :

---

٢٦٤ – ينظر : تهذيب اللغة ٧/ ١٣٢ (خ ت ن)

٢٦٥ – ينظر : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ١/ ٣٢، القاموس الفقهي ١/ ١١٢

" وإنّما وضعت هذه الألفاظ ، ليستعملها أهل اللغة ، ولو كان الرأي ألّا يلفظ بها ما كان لأوّل كونها معنى، ولكان في التّحريم والصّون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها ، وقد أصاب كلّ الصّواب من قال: «لكلّ مقام مقال» . (٢٦٦)

وأختم هنا بما ذكره الزمخشري من العلة من ذكر هذه الألفاظ حيث قال في معرض تفسيره لقوله تعالى : " { فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة : ٢٢٣] : من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة ، وهذه وأشباهها في كلام اللَّه آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدّبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم. (٢٦٧)

والله أعلم

---

٢٦٦ – ينظر : الرسائل الأدبية ص ١٦٥

٢٦٧ – ينظر : الكشاف ١/ ٢٦٦

نتائج البحث

بعد هذا العرض لبعض ألفاظ العلاقة الحميمية في القرآن والسنة ، ودلالاتها ، ظهر ما يلي :

- ❖ البعد عن الاستهجان مبدأ وغرض أصيل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولغة العرب ٠
- ❖ خلو القرآن الكريم من كل ما يستهجن ويستقبح ذكره ٠
- ❖ الرسول طبق هذا المبدأ ، وابتعد عن كل ما يستقبح ويستهجن ذكره ٠
- ❖ استخدم القرآن الكريم والسنة النبوية ألفاظا غاية في اللطف والجمال والكمال للدلالة عن ما يستقبح ذكره٠
- ❖ من أسباب كثرة ألفاظ العلاقة الحميمية في القرآن البعد عن الاستهجان ٠
- ❖ دلالة السياق لها أثر كبير في اختيار اللفظ ٠
- ❖ دلالة ألفاظ العلاقة الحميمة ليست قاصرة على الاتصال الجسدي بل تشمل دلالات أخرى ٠
- ❖ الابتعاد عن الاستهجان من أسباب سمو اللغة ٠
- ❖ السمو اللفظي من أهم عوامل التقارب والتواد بين الأفراد٠
- ❖ اللغة العربية غنية بالمفردات التي تساعد المتحدث في البعد عن الاستهجان ٠
- ❖ الجهل باللغة وبدلالة الألفاظ أوقع البعض في أخطاء شرعية كلفظ الاستمتاع٠
- ❖ لفظ المس من أكثر الألفاظ التي استخدمها القرآن للدلالة على العلاقة الحميمية المجردة ٠
- ❖ الابتذال اللغوي ناتج من ضعف المتحدثين لغويا وليس راجع إلى اللغة ٠
- ❖ القبح في اللفظ ناتج من دلالته الصريحة على العلاقة وليس من اللفظ ذاته
- ❖ اللفظ الصريح قد لا يكون مستهجنا إذا استخدم في وقته ومكانه الخاص

- ❖ العرب تعيب استخدام الألفاظ المستهجنة٠
- ❖ البعد عن الاستهجان مطلب شرعي٠
- ❖ اللفظ المستهجن له أثر سلبي كبير على شخصية المتلقي ، كما أن اللفظ المستحسن له أثر إيجابي على المستمع ٠
- ❖ مجال العلاقة الحميمية أكثر المجالات الذي يجب صونه عن الألفاظ المستهجنة٠

فهرس المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢) أدب الدنيا والدين الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦

٣) أساس البلاغة المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط ١ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٤) بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)

٥) البحر المحيط المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٦) بداية المجتهد لمؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ) الناشر: دار الحديث – القاهرة

٧) البلاغة والإعجاز في القرآن الكريم د عزة محمد جدوع ، ط مكتبة الرشد – السعودية ، ط١ ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣ م

٨) بهجة المجالس وأنس المجالس المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)

٩) تاج العروس من جواهر القاموس ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية،

١٠) تأويل مشكل القرآن مؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

١١) تفسير الإمام الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ) ا (المتوفى: ٢٠٤هـ) جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م

١٢) تفسير القرآن العظيم ، التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي تح : محمد باسل عيون السود الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ – ١٤٢٣ هـ

١٣) لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين أبو الحسن ، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٤) تفسير الراغب الأصفهاني تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

١٥) تفسير القرآن لأبي المظفر المروزى تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م

١٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) تح : يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ، ط١ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

١٨) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم لابن حميد الأزدي الميورقي (المتوفى: ٤٨٨هـ) تح الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز ، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر ، ط ١، ١٤١٥ – ١٩٩٥

١٩) تفسير مجاهد ، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)

٢٠) تكملة المعاجم العربية ، المؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ) ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي٠: جمال الخياط ، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ،الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م

٢١) تلخيص البيان في مجازات القرآن ، للشريف الرضى دار النشر : دار الأضواء ــ بيروت

٢٢) تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ ، ، ٢٠٠١م

٢٣) جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٢٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

٢٥) جمهرة أشعار العرب أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى ١٧٠ ه) تح علي محمد البجادي ، ط نهضة مصر للطباعة والنشر

٢٦) حلية الفقهاء ، لابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: الشركة المتحدة

للتوزيع – بيروت ــ ط الأولى (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)

٢٧) الخصائص ، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢ هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤

٢٨) دراسات في فقه اللغة د صبحي الصالح ، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م

٢٩) دراسة دلالية لتقبل الألفاظ لدى الجماعة اللغوية د محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي

٣٠) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للتهانوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

٣١) دور الكلمة في اللغة ستيفن أولمان

٣٢) ديوان الأخطل ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤ – ١٤١٤هـ

٣٣) ديوان الحطيئة ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣ – ١٤١٣هـ

٣٤) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لابن خلدون الإشبيلي ، تح خليل شحادة ، الناشر: دار الفكر، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٣٥) ديوان امرؤ القيس ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٣٦) ديوان رؤبة ، ط دار ابن قتيبة

٣٧) ديوان زهير بن أبي سلمى ، ط ١٤٠٨ – ١٩٨٨م

٣٨) الرسائل الأدبية للجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٣ هـ

٣٩) رسائل الثعالبي المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)

٤٠) روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت

٤١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لأبو منصور الهروي تح : مسعد عبد الحميد السعدني ، الناشر: دار الطلائع

٤٢) سنن ابن ماجة سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط

٤٣) المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، الناشر: دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩

٤٤) سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) الناشر: دار الرسالة العالمية ، ط١ ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م

٤٥) سنن البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤٦) سنن الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م

٤٧) سنن الدار قطني حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٤٨) شرح ديوان الحماسة المؤلف: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية،

بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤٩) شرح السنة للبغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تح: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٥٠) شرح المنظومة الحائية لابن أبي داود مؤلف الأصل: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ) ، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير

٥١) شرح الموطأ للزرقاني ط مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، تح طه عبد الرءوف سعد ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٥٢) شرح سنن أبي داود لبدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، تح : أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ، ط١، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م

٥٣) شرح مشكل الآثار المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)

٥٤) شعب الإيمان للبيهقي ، ط مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٥٥) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم

٥٦) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، الناشر: محمد علي بيضون ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٥٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تح: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م

٥٨) صحيح البخاري الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة

ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط ١، ١٤٢٢هـ

٥٩) صحيح مسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٦٠) طلبة الطلبة المؤلف: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: ٥٣٧هـ) الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد

٦١) العباب الزاخر المؤلف: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (المتوفى: ٦٥٠هـ)

٦٢) العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال

٦٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت

٦٤) غريب الحديث لابن الجوزي تح الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥

٦٥) غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: د. عبد الله الجبوري الناشر: مطبعة العاني – بغداد ، ط١ ، ١٣٩٧

٦٦) غريب الحديث المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي الناشر: دار الفكر ، الطبعة: ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م

٦٧) غريب القرآن في شعر العرب ((مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس – رضي الله عنه وعن أبيه))

٦٨) الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، تح : علي محمد البجاوي وآخرون الناشر: دار المعرفة – لبنان ، ط٢

٦٩) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

٧٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩

٧١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي (المتوفى: ٩٠٢هـ) ، ط مكتبة السنة – مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، تح علي حسين علي

٧٢) فقه اللغة وسر العربية أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) ، المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: إحياء التراث العربي ، ط١ ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م

٧٣) الفهرست لابن النديم الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، ط ٢، ١٤١٧

٧٤) هـ – ١٩٩٧ مـ

٧٥) في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

٧٦) القاموس المحيط ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ) ١٢٣٩/١ ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت – لبنان ط٢ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٧٧) الكامل في اللغة والأدب ط: دار الفكر العربي – القاهرة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ط الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧

٧٨) كتاب الأفعال لابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)

٧٩) كتاب الكناية والتعريض للثعالبي ضمن رسائل الثعالبي ، المؤلف: عبد

الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)

٨٠) كتاب غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، المؤلف : محمد بن عُزير السجستاني، (المتوفى : ٣٣٠هـ) ، الناشر : دار قتيبة – سوريا ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

٨١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٨٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي تح: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط ١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

٨٣) اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م

٨٤) لسان العرب الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٨٥) مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩ هـ) تح محمد فواد سزگين ، الناشر مكتبة الخانجى – القاهرة ، ط: ١٣٨١هـ

٨٦) مجمل اللغة تح : زهير عبد المحسن سلطان ، دار النشر: مؤسسة الرسالة بيروت ، ط٢ ، – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

٨٧) محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٨٨) المحرر الوجيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٨٩) المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

٩٠) المحيط في اللغة المؤلف: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني ، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ)

٩١) مختار الصحاح : زين الدين أبو بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٩٢) مختصر صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، الناشر: مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

٩٣) المخصص ،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: خليل إبراهم جفال ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٩٤) المستدرك على الصحيحين ، للنيسابوري ا (المتوفى: ٤٠٥هـ) تح: مصطفى عبد القادر ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١١

٩٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١

٩٦) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، المؤلف: عياض بن موسى بن

عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث

٩٧) المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

٩٨) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ، المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي (المتوفى: ٥٦٩هـ) تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر، ط١، ١٤٣٣ هـ

٩٩) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف أبو محمد الحسين بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) تح عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

١٠٠) معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ، الناشر: عالم الكتب– بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

١٠١) المعاني الكبير في أبيات المعاني المؤلف: بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: المستشرق د سالم الكرنكوي الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن ، بالهند [ط١ ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م] ، ثم صورتها: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١ ،١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م]

١٠٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

١٠٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، الناشر: دار الفضيلة

١٠٤) المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة

١٠٥) معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي ، ط دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

١٠٦) المُعْلم بفوائد مسلمى للمازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ) ٢/ ١٥٤

١٠٧) المغرب في ترتيب المعرب المؤلف: ناصر بن برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠ه) الناشر: دار الكتاب العربي للخوارزمي

١٠٨) مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الثالثة – ١٤٢٠ هـ

١٠٩) المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي ،الناشر: دار القلم، دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

١١٠) معجم مقاييس اللغة ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١١١) من قضايا فقه اللسان د/ الموافي الرفاعي البيلي

١١٢) المنتخب من غريب كلام العرب، تح : د محمد بن أحمد العمري الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

١١٣) المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء عنى بتحقيقه السيد محمد بدر الدين النعساني

الحلبي ، مطبعة السعادة بمصر الطبعة الأولى١٣٢٦هـ ١٩٠٨م

١١٤) موسوعة الشعر الإسلامي ، جمعها وأعدها : علي بن نايف الشحود

١١٥) الموطأ للإمام مالك ط دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان عام النشر: ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م الناشر: مؤسسة الرسالة

١١٦) النكت والعيون ، المؤلف: أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

١١٧) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، تح : طاهر أحمد الزاوى